الفصل الأول

علم المعاني في تفسير أضواء البيان

علم المعاني من علوم البلاغة التي تناولها البلاغيون بالدراسة، والتحليل، وهو نوع أشار إليه المصنفون القدماء، وأهم ما يميز هذا العلم ارتباطه بالنظم النّحوي، فالجاحظ يقول: «والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والقروي والبدوي، وإنّما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللّفظ، وسهولة المخرج، وصحة الطبع، وكثرة الماء، وجودة السبك»[1]. وكلام الجاحظ تلخيص موجز لعلم المعاني يعطي للدارس الخيوط الأولى للفهم الدقيق لعلم المعاني المعتمد على طريقة سبك الكلام.

وجاء الجرجاني (ت ٤٧١هـ) فوضع نظرية النّظم التي قال فيها: «إنَّ النَّظمَ ليس شيئاً غيرَ توخِّي معاني النَّحوِ وأحكامَهُ فيما بينَ الكَلِمِ»[2]، فاللّفظ المفرد لا يمكن أنْ يكون له قيمة معنوية، إلاّ عن طريق النظم، يقول: «وهل تجد أحداً يقول: هذه اللّفظة فصيحة، إلا هو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملائمة معناها لمعاني جارتها وفضل مؤانستها لأخواتها»[3].

وفي نظرية النظم تعددت موضوعات علم المعاني مثل: الفصل والوصل،

---

(١) الحيوان: ٣/١٣١-١٣٢، ودلائل الإعجاز، ص١٩٨.

(٢) دلائل الإعجاز، ص٤٥.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٦.

وحروف العطف، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والحذف، والتكرار، والإضمار، والخبر والإنشاء... وهذه تقسيمات السكاكي الذي جاء بعد الجرجاني. وهذه المباحث درسها المفسرون في تفاسيرهم كالزمخشري والقرطبي وأبي حيان ومفسرنا الشّنقيطي الذي تناول تلك المباحث تارة بالتوسع وأخرى بالاختصار.

وعلم المعاني عرفه البلاغيون بقولهم: هو علم يعرف به أحوال اللّفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال[1]. أي: هو العلم الذي يبحث أحوال اللّفظ مثل التعريف والتنكير والإظهار...، وغير ذلك، ويتبيّن كيف تكون تلك الأحوال واقعة في الكلام موقعاً تطابق دواعي النفس. ولم تأتِ زائدة ثقيلة، ولا متكلفة كريهة وتلك الأحوال هي الهيئات والكيفيات.

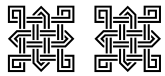

(١) ينظر: دلائل الإعجاز، ص١٥٨، وخصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ص٤٢.

المبحث الأوّل

الخبر

الخبر (لغةً): خبرت بالأمر أي: علمته، وخبرت الأمر أخْبُرُهُ إذا عرفته على حقيقته، والخبرُ بالتحريك واحد الأخبار، والخبر: ما أتاك من نبأ عمن تستخبر[1].

الخبر (اصطلاحاً): تناول العلماء المتقدمون ذلك المصطلح البلاغي بالبحث والدراسة، ومن أقدم النحويين الذين عرفوا الخبر المبرد؛ إذ قال: «الخبر ما جاز على قائلهِ التصديق والتكذيب»[2].

وأوضح ابن فارس الفرق في تعريف الخبر بين أهل اللّغة وأهل البلاغة فأهل اللّغة لا ينظرون إلى الخبر إلاّ بوصفه إعلاماً للآخرين أمّا أهل النظر فيقسمونه على كلام صادق أو كاذب يقول ابن فارس: «أمّا أهل اللغة فلا يقولون في الخبر أكثر من أنّه إعلام... والخبر هو العلم. وأهل النّظر يقولون: الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه وهو إفادة المخاطب أمراً في ماضٍ من زمان أو مستقبل دائم»[3].

وعوّل القزويني على آراء القدماء وبيَّن معنى الصّدق والكذب في الخبر فقال: «اختلف النّاس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب، فذهب الجمهور إلى أنّه منحصر فيهما ثمَّ اختلفوا، فقال الأكثر منهم: صدقُهُ مطابقة حكمه

---

(١) ينظر: لسان العرب: مادة (خبر).

(٢) المقتضب: ٨٩/٣، وينظر: أضواء البيان، ص١٩٤٩ من التتمة.

(٣) معجم مقاييس اللغة : ٣٦١/١ .

للواقع، وكذبه عدم مطابقة حكمه له، وهذا هو المشهور وعليه التأويل»[1].

وقد استنبط البلاغيون من أسلوب الكلام ثلاثة أنواع للخبر فإنْ جاءت الجملة الخبريّة خالية من المؤكدات سمي الخبر ابتدائياً، وإذا أكدت الجملة بمؤكد واحد كان الخبر طلبياً، وإنْ أكدت الجملة بمؤكدين أو أكثر كان الخبر إنكارياً. ويبدو أنّ علة التسمية نابعة من (حال المخاطب) إنْ كان خالي الذهن من الحكم أو (متردداً فيه) أو (منكراً له)، وعليه فالخبر ثلاثة أنواع[2]:

١- **الخبر الابتدائي**: وهو الذي يكون خالياً من المؤكدات؛ لأنّ المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه قال تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١-٢]، قال الشنقيطي: «إنّ اللفظ المخبر عنه هو المعروف خبره الذي لا يحتاج إلى تعريف»[3].

٢- **الخبر الطلبي**: وهو الخبر الذي يتردد المخاطب فيه ولا يعرف مدى صحته، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [مريم: من الآية ٧٥] وقال أيضاً: «إنَّ صيغة الطلب في قوله: «فليمدد» يراد بها الإخبار عن سنة الله في الضالين، وعليه فالمعنى أنّ الله أجرى العادة بأنْ يمهل الضال ويملي له فيستدرجه بذلك حتى يرى ما يوعده وهو في غفلة وكفر وضلال... فأخرج على لفظ الأمر إيذاناً بوجوب ذلك، وأنّه مفعول لا محالة»[4].

---

(١) تلخيص المفتاح : ٧٨/١ .

(٢) ينظر: دفع إيهام الاضطراب، ص٣٨٠، وتهذيب السعد: ١٤/٢، ومعجم المصطلحات البلاغية: ٤٧٩/٢.

(٣) أضواء البيان، ص١٨٢٨.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص٨١٦.

٣- **الخبر الإنكاري**: وهو الذي ينكره إنكاراً يحتاج إلى أنْ يؤكّد بأكثر من مؤكد، ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، قال الشنقيطي: «والله تعالى في هذه الآية أكّد إخباره بأنّه خلق الإنسان في أحسن تقويم، بأربعة أقسام، وباللام، وبقد، فهي ستة تأكيدات، وهذا التوكيد يوهم أنّ الإنسان منكر، لأنّ ربّه خلقه، وقد جاءت آيات أخرى صريحة في أنّ الكفار يقرون بأنّ الله هو خالقهم، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

والجواب من وجهين:

الأول: هو ما حرره علماء البلاغة من أنّ المقر، إذا ظهرت عليه أمارة الإنكار، جعل كالمنكر، فأكد له الخبر، كقول حجل بن نضلة:

جاءَ شقيقٌ عارضاً رمحَهُ ... إنّ بني عمّك فيهم رماح

فشقيق لا ينكر أنّ في بني عمّه رماحاً، ولكنّ مجيئه عارضاً رمحه، أي: جاعلاً عرضه جهتهم من غير التفات أمارة، أنّه يعتقد أنّ لا رمح فيهم، فأكّد له الخبر، فإذا حققت ذلك، فاعلم أنّ الكفار لما أنكروا البعث، ظهرت عليهم أمارة إنكار الإيجاد الأوّل، لأنّ من أقرّ بالأوّل لزمه الإقرار بالثّاني، لأنّ الإعادة أيسر من البدء، فأكّد لهم الإيجاد الأوّل.

ويوضح هذا أنّ الله بيّن أنّه المقصود بقوله: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ [التين: ٧] أي: ما يحملك أيُّها الإنسان على التكذيب بالبعث والجزاء، بعد علمك أنّ الله أوجدك أوّلاً، فمن أوجدك أوّلاً قادراً على أن يوجدك ثانياً. كما قال تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: من الآية ٧٩]، وقال: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: من الآية ١٠٤]. وقال:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم: من الآية ٢٧]. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥].

والآيات بمثل هذا كثير، ولذا ذكر تعالى أنّ من أنكر البعث، فقد نسي إيجاده الأوّل، بقوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]. وبقوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٦٦-٦٧].

وقال البعض: معنى فما يكذبك، فمن يقدر على تكذيبك يا نبي الله بالثواب والعقاب بعد ما تبيّن له أنا خلقنا الإنسان على ما وصفنا، وهو في دلالته على ما ذكرنا كالأوّل، فظهرت النكتة في جعل الابتدائي كالإنكاري.

الوجه الثاني: أنّ القسم شامل لقوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين: ٥] أي: إلى النار، وهم لا يصدقون بالنار بدليل قوله تعالى: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [الطور: ١٤].

وهذا الوجه في معنى قوله: ﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ أصح من القول بأنَّ معناه الهرم، والرد إلى أرذل العمر لكون قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٦]، أظهر في الأوّل من الثّاني. وإذا كان القسم شاملاً للإنكاري، فلا إشكال؛ لأنّ التوكيد منصب على ذلك الإنكاري»[1].

(١) دفع إيهام الاضطراب، ص٣٨٠-٣٨١ واضواء البيان : ١٩٤٧ .

❑ أغراض الخبر[1]:

للجملة الخبريّة غرضان أساسيان وُضِعا باعتبار المخاطب أو المتلقي وهما: فائدة الخبر: ومعناه أَنْ تفيد الجملة المخاطبة المعنى الذي تحمله؛ لأنَّ المتلقي لا يعرف بالحكم نحو (زيد قائم) لمن لا يعرف.

لازم الفائدة: ومعناه أنْ تفيد الجملة المخاطبة أنْ المتكلم عالم نحو: أَنْتَ جِئتَ: لمن قام بالمجيء.

ولكن الخبر يخرج عن ظاهر معناه إلى معان باعتبار حال المتكلم وفعل المخاطب فالسبب مرتبط بالنتيجة، والسبب هو فعل المخاطب الذي أدى إلى نتيجة الخبر، فقد يخرج الخبر بلاغياً إلى الإنكار والطلب والتعظيم والتوبيخ...

وعلى ذلك نتجه الآن لدراسة أغراض الخبر في تفسير أضواء البيان لمفسرنا الشنقيطي.

❑ الخبر في تفسير أضواء البيان:

بحث المفسرون في القرآن الكريم عن الجملة الخبرية وأبرزوا أغراضها البلاغية في أحيان كثيرة، وكان هدفهم من ذلك ذكر الألوان البلاغيّة الكامنة في هذا الأسلوب المتنوع، لبيان المعاني القرآنيّة وإظهار إعجاز أسلوب القرآن الكريم، ومن تلك الأغراض التي ذكرها الشنقيطي:

١- الخبر للتحذير:

من أسلوب الخبر في القرآن الكريم ما يخرج إلى غرض التّحذير كقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ

(١) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٤٧٨/٢.

﴿يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٠]، قال الشنقيطي: «أي: تعاملونهم كما تعاملون الإخوان، وهذا أعلى درجات الإحسان والمعروف، ولذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِۚ﴾ [سورة البقرة: من الآية ٢٢٠]، وفي تقديم ذكر المفسد على المصلح: إشعار لشدة التحذير من الإفساد في معاملته، ولأنّ محل التحذير في موطن آخر جعلهم بمنزلة الأولاد في قوله: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩]، أي: حتى في مخاطبتهم إياهم؛ لأنّهم بمنزلة أولادهم...»[(١)].

وذهب إلى هذا القول الزمخشري والقرطبي والبقاعي[(٢)] وذكر البيضاوي وأبي السعود، أنَّ المقام هذا مقام وعيد ووعد[(٣)].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ﴾ [سورة الحشر: من الآية ٣١]، وقال الشنقيطي: «هذا المقام إخبار من الله عمّا أوقعه بهؤلاء الذين نسوا ما أمرهم فأنساهم، فأوقع عليهم النسيان لأنفسهم مجازاة لهم على أعمالهم فكان نسبته إلى الله وبإخبار من الله عين الحقّ، وهو أقوى من أسلوب المقابلة: نسو الله فنسيهم»[(٤)].

---

(١) أضواء البيان، ص٢١٣٦.

(٢) ينظر: الكشاف: ٢٨٧/١، والجامع لأحكام القرآن: ٢٦٢/٣، ونظم الدرر: ٢٦٧/٣.

(٣) ينظر: أنوار التنزيل: ٥٠٦/١، وإرشاد العقل السليم: ٢٢٠/١.

(٤) أضواء البيان، ص١٨٨٢.

وذهب الخازن إلى أنَّ الخبر للتهديد[1].

٢- الخبر للتوبيخ والتقريع والإهانة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الحج: ١٠] فقد تحدث الشنقيطي في هذه الآية الكريمة مشيراً إلى أنّ المراد بها التوبيخ والتقريع والإهانة، فقال: «إنّ الكافر يقال له يوم القيامة: «ذلك بما قدمت يداك» الآية. لا يخفى أنّه توبيخ، وتقريع، وإهانة له. وأمثال ذلك في القرآن كثيرة كقوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ [الدخان: ٤٧-٥٠] وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٣-١٦] والآيات بمثل ذلك كثيرة»[2]. وذهب إلى هذا القول ابن كثير[3].

وذكر البيضاوي أنّ المقام هنا مقام التفات[4].

٣- الخبر للذم والوعيد:

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ﴾ [التوبة: من الآية ٦٩] فذكر الشنقيطي أنّ الخبر هنا

---

(١) ينظر: لباب التأويل: ٧/٧١.

(٢) أضواء البيان، ص٩٨٠.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٥/٣٩٩.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل: ٤/١١٦، والبحر المديد: ٤/٥٩٣.

خرج لمعنى الذم والوعيد قائلاً: «والمقصود أنّ الله أخبر أنّ في هذه الأمة من يستمتع بخلاقه كما استمتع الذين من قبله بخلاقهم، ويخوض كخوضهم، وأنّ لهم من الذم والوعيد للذين من قبلهم»[1].

وذهب إلى هذا القول أكثر المفسرين[2].

٤- الخبر للوعظ:

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف: من الآية ١١]، قال الشنقيطي: «ذكر الله -جل وعلا- في هذه الآية أنّ من أخبار المرسلين مع أممهم، وكيف نجى الله المؤمنين وأهلك الكافرين عبرة لأولي الألباب، أي: عظة لأهل العقول»[3].

وهذا المعنى قال به القرطبي[4].

❑ خروج الخبر إلى معنى الأمر أو (الإنشاء):

تناول الشنقيطي مسألة عطف الإنشاء على الخبر في ثنايا تفسيره، وبينها في أكثر من موضع فيه، وأورد قائلاً: «الخلاف بين العلماء في عطف الإنشاء على الخبر، أو الخبر على الإنشاء، فمنعه جماعة[5] من العلماء، والتحقيق الذي

---

(١) أضواء البيان، ص٩٣٠.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٨٤/٨، وفتح القدير: ٣٩٨/٢، وأنوار التنزيل: ١٥٦/٣، ومدارك التنزيل: ٩٨/٢، ولباب التأويل: ١١٩/٣.

(٣) أضواء البيان، ص٤٣١.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٧٧/٩.

(٥) وهم البيانيون وابن مالك، لما بينهما من التنافي وعدم التناسب، وأجازه الصفّار وسيبويه وغيرهم. ينظر: مغني اللبيب: ٦٢٧/١، وموصل الطلاب إلى قواعد الإعراب: ١٦٤/١.

دلّ عليه القرآن العظيم واستقراء اللّغة العربية، هو جواز عطف الخبر على الإنشاء أو الإنشاء على الخبر»[1] مبيناً أنّ مجيء الإنشاء بصيغة الخبر أبلغ من مجيئه بصيغة الإنشاء قائلاً: «كما أنّ إيراد الإنشاء بصيغة الخبر أبلغ من إيراده بصفة الإنشاء كما هو مقرر في علم المعاني»[2].

كما ذكر أنَّ الصيغة قد تكون خبريّة، والمراد بها الإنشاء لأسباب منها: التّفاؤل: كقولك: رحم الله زيداً. فالصيغة خبرية، والمراد بها إنشاء الدعاء له بالرحمة[3].

إظهار تأكيد الإتيان بالفعل: وإلزام ذلك كقوله تعالى: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [الصف: من الآية ١٠-١١]، أي: آمنوا بالله بدليل جزم الفعل في قوله: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ [الأحقاف: من الآية ٣١]، فهو مجزوم بالطلب المراد بالخبر في قوله: ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [النساء: ٥٩]، أي: آمنوا بالله، يغفر لكم ذنوبكم كقوله: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: من الآية ١٤]، ونحو ذلك، فالمسوغ لكون الصّفة في الآية خبرية، هو إظهار التأكد، واللزوم في الإتيان بالإيمان فعبّر عنه بصيغة الخبر، لإظهار أنَّه يتأكد ويلزم أنْ يكون كالواقع بالفعل المخبر عن وقوعه[4]. وذهب إلى هذا المعنى أكثر المفسرين[5].

---

(١) ضياء المسالك: ٢١٤/٣-٢٢٠، وينظر: التوضيح والتكميل: ١٨٩/٢، وينظر: العذب النمير في مجالس الشنقيطي: ١٩٨٥/٥.

(٢) أضواء البيان، ص١١٠٤.

(٣) المصدر نفسه، ص١١٠٠.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: جامع البيان: ٢١٤/٣، وزاد المسير: ٢٥٤/٨، وفتح القدير: ٣٦١/٢ وغيرهم.

الأمر: كقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ [البقرة: من الآية ٢٣٣]، وقوله: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: من الآية ٢٢٨]، فالمراد الأمر بالإرضاع، والتربص وقد عبّر عنه بصيغة خبرية لما ذكرنا، كما هو معروف في فن المعاني[١]. وذهب إلى ذلك أكثر المفسرين[٢].

النهي: كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾ [البقرة: من الآية ١٩٧]، صيغة الخبر أريد به الإنشاء وهي ما صرح الله بالنهي، أي: فلا يرفث ولا يفسق، ولا يجادل[٣]. وذهب إلى هذا المعنى أكثر العلماء[٤].

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، قال الشنقيطي: «وردت هذه الآية الكريمة بلفظ الخبر والمراد بها الإنشاء، وهذا النهي البليغ، والزّجر العظيم عن موالاة أعداء الله، وإيراد الإنشاء بلفظ الخبر أقوى وأوكد من إيراده بلفظ الإنشاء، كما هو معلوم في محله، ومعنى قوله: ﴿يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: أي: يحبون ويوالون أعداء الله ورسوله»[٥]. وذهب إلى ذلك أبو حيان والآلوسي[٦].

---

(١) أضواء البيان، ص١١٠٠.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل: ٥٢٤/١، ومدارك التنزيل: ١١٩/١، ولباب التأويل: ٢٣٩/١.

(٣) ينظر: أضواء البيان، ص١١٠٠، وص١١٠٤.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ومعالم التنزيل: ٥٩/١، وتفسير الجلالين: ٣٩/١، وزاد المسير: ٤٣٤/٣.

(٥) أضواء البيان، ص١٨٤٩.

(٦) ينظر: البحر المحيط: ٢٣٧/٨ ، وروح المعاني: ٣٥/٢٨.

المبحث الثاني

الإنشاء

الإنشاء لغةً: هو الابتداء أو الخلق، أو الابتداع[1].

الإنشاء اصطلاحاً: هو كلّ كلام لا يحتمل الصّدق والكذب، لأنّه نابع من الشعور والإحساس الداخلي للإنسان، ويعتمد على دفقات شعورية لا يمكن تكذيبها، وقد علّل البلاغيون عدم احتمال التكذيب والتصديق في الإنشاء؛ لأنّه يدلّ على حدث لم يقع من قبل. وفرقوا بين الخبر والإنشاء اعتماداً على ذلك.

فالقزويني يقول: «ووجه الحصر أنّ الكلام إمّا خبر أو إنشاء؛ لأنّه إمّا أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه أو لا يكون لها خارج. الأوّل: الخبر، والثاني: الإنشاء»[2].

وينقسم الإنشاء على قسمين: طلبي وغير طلبي.

الطلبي: هو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، نحو: اعمل خيراً.

الإنشاء غير الطلبي: هو ما لا يستدعي مطلوباً نحو: أكلت وشربت، ونعم الطالب زيد، وللإنشاء غير الطلبي صيغ كثيرة، كأفعال المدح والذم كنعم وبئس، وكفعلي التعجب وكأفعال المقاربة: عسى واخلولق، وكصيغ العقود: كـ(بعت واشتريت)، والقسم، واستبعد البلاغيون هذا النوع من مباحث علم المعاني؛ لأنّ تلك الأساليب أخباراً نقلت إلى الإنشاء.

---

(١) لسان العرب: مادة (نشأ).

(٢) الإيضاح: ٨٥/١، والتلخيص: ١٥١، والطراز: ٦١/١.

يقول التفتازاني: «فالإنشاء إنْ لم يكن طلباً كأفعال المقاربة وأفعال المدح والذم وصيغ العقود والقسم وربّ ونحو ذلك، فلا يبحث عنها ههنا، لقلة المباحث البيانيّة المتعلقة بها أو لأنّ أكثرها في الأصل أخباراً نقلت إلى معنى الإنشاء»[1].

والمراد بقوله: (أكثرها) أنّ أغلب الإنشاء غير الطلبي خبر، وهنا يستثنى أفعال الرجاء والقسم، ولقلة المعاني المجازية المتعلقة بها، بعكس مباحث (الإنشاء الطلبي).

ولنتعرف الآن على أنواع الإنشاء الواردة في تفسير الشنقيطي، التي سنتناولها بالدراسة والتحليل، فكلّما وردت آية حملت نكتة بلاغية أشار إليها وفسَّر مقتضاها البلاغي، وما يخرج إليها من مقاصد بلاغية، وإليك التفصيل:

❑ أقسام الإنشاء الطلبي:

أولاً: الأمر:

الأمر في البلاغة طلب فعل الشّيء على وجه الاستعلاء. قال العلوي: «هو صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء»[2].

وذكر الشنقيطي أنّ صيغ الأمر الصريحة الدالة عليه أربع:

الأولى: فعل الأمر نحو قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ﴾ [الإسراء: من الآية ٧٨].

---

(١) تهذيب السعد: ٢٩/٣.

(٢) الطراز: ٣٨١/٣.

والثانية: الفعل المضارع المجزوم بلام الأمر كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

والثالثة: اسم فعل الأمر نحو قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: من الآية ١٠٥].

والرابعة: المصدر النائب عن فعله كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ [محمد: من الآية ٤٧] أي: فأضربوا رقابهم(١).

وقد يخرج الأمر إلى أغراض بلاغيّة تعرف دلالتها من سياق الكلام، ومن تلك الأغراض وأهمها عند الشنقيطي:

١- الأمر للإباحة:

إنّ الإباحة تستعمل صيغة الأمر في مقام يتوهم فيه السّامع حضر الشّيء عليه(٢)، ومن الأمر للإباحة قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ [طه: ٥٤]، قال الشنقيطي: «والأمر في قوله: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا﴾ للإباحة، ولا يخفى ما تضمنه من الامتنان والاستدلال على استحقاق المنعم بذلك للعبادة وحده»(٣). وإلى هذا المعنى ذهب أكثر علماء التفسير(٤)، وقال ابن عاشور: «والأمر للإباحة مراد به المنّة»(٥).

---

(١) أضواء البيان، ص١٠٥٢.

(٢) ينظر: علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق ، ص٨٦.

(٣) أضواء البيان، ص٨٤٣.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٩٠/١١، وفتح القدير: ٣٧١/٣، والبحر المحيط: ٢٣٤/٦.

(٥) التحرير والتنوير: ١٣٤/١٦.

ومنه أيضاً مما جاء في قوله تعالى: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ﴾ [الملك: من الآية ١٥]،: «والأمر في قوله تعالى: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ﴾ للإباحة. ولكن التقديم لهذا الأمر بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا﴾ [الملك: من الآية ١٥] فيه امتنان من الله تعالى على خلقه»[(١)]، وعلماء التفسير تطرقوا إلى هذا الأمر، فمنهم من حمله على الإنعام[(٢)]. ومنهم من حمله على الأنعام والتذكير[(٣)]، وحمله ابن عاشور على الإدامة والامتنان[(٤)]، وذهب القرطبي إلى أنّه على الإباحة والامتنان[(٥)].

٢- الأمر للندب والإرشاد:

قال الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢]: «ظاهر هذه الآية الكريمة أنّ كتابة الدين واجبة، لأنّ الأمر من الله يدلّ على الوجوب، ولكنّه أشار إلى أنّه أمر إرشاد لا إيجاب بقوله: ﴿وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ﴾ [البقرة: من الآية ٢٨٣]، لأنَّ الرهن لا يجب إجماعاً، وهو بدل من الكتابة عند تعذّرها في الآية فلو كانت الكتابة واجبة لكان بدلها واجباً، وصرح بعدم الوجوب بقوله: ﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ

---

(١) أضواء البيان، ص١٩٧٢ من التتمة.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٩٧/٤.

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٧٤/٣.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠/٢٩.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢١٥/١٨.

أَمَٰنَتَهُۥ﴾ [البقرة: من الآية ٢٨٣]، فالتحقيق أنّ الأمر في قوله: «فاكتبوه» للندب والإرشاد، لأنّ لرب الدين أن يهبه ويتركه إجماعاً، فالندب إلى الكتابة فيه إنّما هو على جهة الحيطة للناس»[١] ، وهذا القول هو الصّحيح وعليه ذهب أكثر العلماء[٢]، وذكر ابن كثير أنّها دالة على الإرشاد فقط[٣]. وذهب الطبري وأبو حيان إلى الوجوب في الأمر[٤].

٣- الأمر للتوبيخ:

ذكر الشنقيطي في تفسيره أمثلة جاءت بلفظ الأمر وخرجت إلى التوبيخ والتقريع، وفسرها بأسلوب بلاغي واضح، من ذلك مما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ [الكهف: من الآية ٥٢] قال الشنقيطي: «أي: واذكر يوم يقول الله -جل وعلا- للمشركين الذين كانوا يشركون معه الآلهة والأنداد من الأصنام وغيرها من المعبودات من دون الله توبيخاً لهم وتقريعاً: نادوا شركائي الذين زعمتم أنهم شركاء معي»[٥]، وذهب الآلوسي إلى أنّ الأمر للتوبيخ والتعجيز[٦].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: من

---

(١) أضواء البيان، ص١٢٩.

(٢) ينظر: الجواهر الحسان: ٢٢٩/١، ومعاني القرآن: ٣١٢/١، ومدارك التنزيل: ١٤٠/١.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤٤٦/١.

(٤) ينظر: جامع البيان: ٤٧/٦، والبحر المحيط: ٣٥٩/٢.

(٥) أضواء البيان، ص٧١٤.

(٦) ينظر: روح المعاني: ٢٩٨,٧/١٥

الآية ٥٩]، قال الشنقيطي: «لا يجوز التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وقد أوضح هذا المفهوم موبخاً للمتحاكمين إلى غير كتاب الله وسنة نبيه ﷺ»[١] ولم أجد من المفسرين من قال بهذا المعنى.

وانظر أمثلة أخرى في تفسيره[٢].

٤- الأمر للتهديد:

أي: التخويف وهو أعمُّ من الإنذار؛ لأنّ إبلاغ مع التخويف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، قال الشنقيطي: «صيغة الأمر في قوله: «وذروا» فإنّها للتهديد»[٣]: وهو بهذا يوافق أقوال العلماء من المفسرين وغيرهم[٤]، وذهب القرطبي: «إنّ بمعنى الوعيد»[٥].

ومنه أيضاً مما جاء في قوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣]، قال الشنقيطي: «هدد الله الكفار في هذه الآية الكريمة بأمر نبيه ﷺ أن يتركهم يأكلوا ويتمتعون فسوف يعلمون حقيقة ما يؤول إليه الأمر من شدة تعذيبهم وإهانتهم وهددهم هذا النوع من التهديد في مواضع أخر كقوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَىٰ

---

(١) أضواء البيان، ص١٥٩-١٦٠.

(٢) ينظر: على سبيل المثال: ص٨٧٩ وص١٣٨٤.

(٣) أضواء البيان، ص٣٣٨.

(٤) ينظر: جامع البيان: ١٣١/٦، وتفسير القرآن العظيم: ١٣٠/٤، وأنوار التنزيل: ٧٧/٣، وإرشاد العقل السليم: ٢٩٦/٣.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٨٥/٧.

ٱلنَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٣٠]، وقوله: ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ﴾ [المرسلات: ٤٦]، وقوله: ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الزخرف: ٨٣]، وقوله: ﴿فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ﴾ [الطور: ٤٥] إلى غير ذلك من الآيات، وقد تقرر في فن المعاني وفي مبحث الأمر عند الأصوليين أنَّ من المعاني التي تأتي لها صيغة (أفعل) للتهديد»[(١)]، وهذا ما عليه أكثر العلماء[(٢)].

وقد أكثر الشنقيطي من ذكر ذلك النوع في تفسيره[(٣)].

٥- الأمر للتعجيز:

ويأتي الأمر على سبيل التعجيز بأمر الخاطب على فعل أمر لا يمكن أنْ يصل إليه نحو قوله تعالى: ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: ١٥]، قال الشنقيطي: «والمعنى أنّه وإنْ غاظه نصر الله لنبيّه فليس له حيلة، ولا قدرة على منع النصر، لأنّه لا يستطيع الارتقاء إلى السّماء ومنع نزول النصر منها عليه ﷺ، وعلى هذا فصيغة الأمر في قوله: «فليمدد» وقوله: «ثُمَّ ليقطع» للتعجيز، ثمّ لينظر ذلك الحاسد العاجز عن قطع النصر عنه ﷺ هل يذهب كيده إذا بلغ غاية جهده في كيد

---

(١) أضواء البيان، ص٤٤٨.

(٢) ينظر: معاني القرآن: ٩/٤، جامع البيان: ١٣١/٦، والجواهر الحسان: ٢٨٩/٢، وتفسير القرآن العظيم: ٧١٩/٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٥/٧، وفتح القدير: ١٢٣/٣، وإرشاد العقل السليم: ١٤٨/٣، وروح المعاني: ١٢١/٩، وزاد المسير: ٣٨٢/٤.

(٣) ينظر: على سبيل المثال: ص١٢٧، ٥١٧، وص٦٤٧، وص٦٩٩، وص١٢٥١-١٢٥١.

النبي ﷺ ما يغيظه من نصر الله لنبيه ﷺ»[1]، وإلى هذا ذهب ابن عاشور[2]، وقال ابن كثير: إنَّ الأمر هنا: (للتهكم) [3].

٦- الأمر للوعيد:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦]، فقد ذكر الشنقيطي في تفسير هذه الآية الكريمة معانٍ متعددة مرجحاً واحداً منها، قائلاً: «في معنى قوله: «أمرنا مترفيها» في هذه الآية الكريمة ثلاثة مذاهب معروفة عند علماء التفسير: الأوّل: وهو الصواب الذي يشهد له القرآن، وعليه جمهور العلماء أنّ الأمر في قوله: «أمرنا» الأمر الذي هو ضد النهي... والمعنى: «أمرنا مترفيها» بطاعة الله وتوحيده، وتصديق رسله وأتباعهم فيما جاءوا به «ففسقوا» أي: خرجوا عن طاعة أمر ربِّهم، وعصوه وكذبوا رسله «فحقّ عليها القول» أي: وجب الوعيد «فدمرناها تدميراً» أي: أهلكناها إهلاكاً مستأصلاً، وأكد فعل التدمير بمصدر للمبالغة في شدة الهلاك الواقع بهم»[4]. وأشار ابن عاشور إلى أنّ: «هذه الآية تهديد للمشركين من أهل مكة وتعليم للمسلمين»[5].

٧- الأمر للتعجب:

قال الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْأَيَٰتِ ثُمَّ

---

(١) أضواء البيان، ص٩٨٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥٨/١٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٢٨٣/٣.

(٤) أضواء البيان، ص٥٩٨.

(٥) التحرير والتنوير: ٤٣/١٤.

﴿ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥]: «قال تعالى: «انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون، على سبيل التعجب من أمرهم، كيف يؤفكون إلى هذا الكفر مع وضوح أدلة التوحيد؟!»[١]. وهذا ما ذهب إليه بعض العلماء[٢]، وقال النسفي: «كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله بعد هذا البيان، وهذا تعجيب من الله في ذهابه عن الفَرْقِ بين الرب والمربوب»[٣].

٨- الأمر للتكوين:

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، ذكر ابن فارس: «أنّه لا يكون إلا من الله ﷻ»[٤]، وعلى ذلك فإنّ حد التكوين ألاَّ يكون إلا من عند الله ﷻ.

قال الشنقيطي: «ذكر -جل وعلا- في هذه الآية الكريمة أنّه لا يتعامل على قدرته شيء، وإذا يقول للشيء «كن» فيكون بلا تأخير وذلك أنّ الكفار لما «أقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت»، ورد الله عليهم كذبهم بقوله: ﴿بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقًّا﴾ [النحل: من الآية ٣٨] بين أنّه قادر على كلِّ شيء، وأنّه كلّما قال لشيء «كن» كان»[٥].

ونجد إنَّ الشنقيطي يُفصل القول في هذه الآية قائلاً: «وبين أنه لا يحتاج

---

(١) أضواء البيان، ص٢٤٨.

(٢) ينظر: فتح القدير: ٩٣/٢، وأنوار التنزيل: ٣٥٤/٢، وإرشاد العقل السليم: ٦٠/٤، وروح المعاني: ٢٠٩/٦، والتحرير والتنوير: ١٧٦/٥.

(٣) مدارك التنزيل: ٢٩٦/١.

(٤) الصاحبي، ص١٨٥، ومعترك الأقران: ٤٤٢/١.

(٥) أضواء البيان، ص٥١٢.

أن يكرر قوله: «كن» بل إذا قال للشيء «كن» مرة واحدة، كان في أسرع من لمح البصر، في قوله: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠] إلى غير ذلك من الآيات.

وعبّر تعالى عن المراد قبل وقوعه باسم الشّيء، لأنّ تحقق وقوعه كالوقوع بالفعل، فلا تنافي الآية إطلاق الشّيء على خصوص الموجود دون المعدوم، لأنّه لما سبق في علم الله أنّه لا يوجد ذلك الشّيء، وأنّه يقول له كُن فيكون، كان تحقق وقوعه بمنزلة وقوعه»[1].

ثانياً: النّهي:

وهو من أقسام الإنشاء الطلبي، وهو طلب الكفّ عن الفعل، استعلاء، قال السكاكي: «للنهي حرف واحد وهو (لا) الجازم في قولك (لا تفعل)، والنهي محذو به حذو الأمر في أنّ أصل استعمل (لا تفعل) أنْ يكون على سبيل الاستعلاء بالشّرط المذكور فإنْ صادف ذلك أفاد الوجوب وإلاّ أفاد طلب الترك فحسب»[2]. فالوجوب والإلزام شرطان يلازمان أسلوب النهي ويعنيان وجوب إلزام المخاطب بما ينهى عنه، أمّا وجه الخلاف بين الأسلوبين فهو أنّ لكلٍّ منهما صيغة خاصة به. «الأمر دال على الطلب، والنهي دالّ على المنع، وأنّ الأمر لابدَّ من إرادة مأموره، وأنّ النّهي لابدّ فيه من كراهيّة منهيّة»[3].

وقد يخرج النهي إلى معانٍ مجازية كثيرة تعرف من السّياق وقرائن الأحوال، ومن الأغراض الواردة عن الشنقيطي:

---

(١) أضواء البيان، ص٥١٣.

(٢) مفتاح العلوم، ص١٥٢-١٥٣، وينظر: الإيضاح، ص٢٤٤، وتهذيب السعد: ٤٣/٣.

(٣) الطراز: ٢٨٥/٣.

١- النهي لبيان العاقبة والمجازاة:

وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾ [آل عمران: من الآية ١٦٩]، أي: عاقبة الحياة والموت، قال الشنقيطي: «نهى الله تبارك وتعالى في هذه الآية عن ظن الموت بالشهداء، وصرح بأنَّهم أحياء عند ربِّهم يرزقون، وإنَّهم فرحون بما آتاهم الله من فضله، يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألاَّ خوف عليهم ولا هم يحزنون، ولم يبيّن هنا هل حياتهم تلك في البرزخ يدرك أهل الدنيا حقيقتها أو لا؟ ولكنّه بيّن في سورة البقرة أنّهم لا يدركونها بقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤][(١)].

وذهب الزمخشري إلى الجد في الجهاد، والرغبة في نيل منازل الشهداء وفضل حالهم[(٢)]، وقرّر القرطبي لفظ الثواب، بقوله: «هذه الآية تدلّ على عظيم ثواب القتل في سبيل الله والشهادة فيه»[(٣)].

٢- النّهي للاحتقار والتقليل:

ويأتي النّهي للاحتقار والتقليل كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٧-٨٨]، وهذا النهي جاء لتوضيح فكرة وهي أنّ زخارف الدنيا قليلة حقيرة أمام القرآن وتعاليمه، قال

---

(١) أضواء البيان، ص١٤٦.

(٢) ينظر: الكشاف: ١/٤٨٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٤/٢٥٦.

الشنقيطي: «لما بيّن تعالى أنّه أتى النبي ﷺ السبع المثاني والقرآن العظيم، وذلك أكبر نصيب، وأعظم حظ عند الله، نهاه أن يمدّ عينيه إلى متاع الدنيا الذي متَّع به الكفار، لأنّ من أعطاه ربّه -جلّ وعلا- النصيب الأكبر والحظ الأوفر، لا ينبغي له أنْ ينظر إلى النّصيب الأحقر الأخس، لاسيَّما إذا كان صاحبه إنّما أعطيه لأجل الفتنة والاختبار، وأوضح هذا المعنى في غير هذا الموضع، كقوله في (طه): ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]، والمراد بالأزواج هنا: الأحناف من الذين متعهم الله بالدنيا»[(١)].

وذهب الزّمخشري بالقول: «وقد أوتيت النّعمة العظمى التي كلّ نعمة وإنْ عظمت فهي إليها حقيرة ضئيلة وهي القرآن العظيم» [(٢)]، وتابعه القرطبي بالقول: «لا تمدن عينيك، قد أغنيتك بالقرآن عمّا في أيدي الناس،... حتى يطمع بصره إلى زخارف الدنيا وعنده معارف المولى»[(٣)].

وقال أبو حيان في تفسيره الآية: «ولّما ذكر تعالى ما أنعم به على رسوله ﷺ، من إتيانه ما آتاه، نهاه، وقد قلنا إنَّ النهي لا يقتضي الملابسة ولا المقاربة عن طموح عينه إلى شيء من متاع الدنيا هذا وإنْ كان خطاباً للرسول ﷺ فالمعنى نهي أمته عن ذلك؛ لأنّ من أوتي القرآن شغله النظر فيه وامتثال تكاليفه

---

(١) أضواء البيان، ص٤٨١.

(٢) الكشاف: ٥٤٩/٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٥١/١٠.

وفهم معانيه»[1].

نفى أبو حيان الملابسة والمقاربة في أسلوب النهي، إذ إنّ الخطاب موجه للرسول ﷺ والمراد به أمة الإسلام؛ لأنّ النهي قد يذكر للجزء ويراد به الكلّ، فعلى كلّ مسلم ألاّ يمد عينيه إلى ما استحسن من مفاتن الدّنيا، لأنّ القرآن يغني عن كلّ متعة وزخرف للدنيا، وممّا سبق نجد إنّ أبا حيان تفرد عن باقي المفسرين في فهمه لصيغة النّهي التي تبتعد عن الملابسة للفرد وتتفق مع العمومية لكلّ مسلك ولكنّ أغلب المفسرين لم يذكروا أنّ النهي خرج مجازاً إلى الاحتقار والتقليل، وإنّما فسروا معنى التحقير لمفاتن الدنيا أمام عظمة القرآن.

٣- النّهي للإهانة:

وقد ذكر في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] فصيغة النهي «ولا تكلمون» خرجت مجازاً إلى الإهانة؛ لأنّ أولئك الكفرة يحاولون أن يتكلموا اعتذاراً وتوبة وغفراناً بعد دعّهم في النّار، فَيَهُون كلامهم على ربّ العالمين، قال الشنقيطي: «وأنّ الله يجيبهم بقوله: «اخسئوا فيها ولا تكلمون» أي: امكثوا فيها خاسئين، أي: أذلاّء صاغرين حقيرين، لأنّ لفظة أخسأ إنّما تقال للحقير الذليل، كالكلب ونحوه، فقوله: «اخسئوا» أي: ذلوا فيها ماكثين في الصّغار والهوان»[2]، فالشنقيطي يقرّر النهي للإهانة والزجر وإنْ لم يذكر الإهانة ولكنّ سياق كلامه للتفسير يوضح خروج النهي للإهانة.

---

(١) البحر المحيط: ٤٥٣/٥.

(٢) أضواء البيان، ص١٢٨٢.

وهذا ما ذهب إليه الزمخشري والبيضاوي والقرطبي[1].

واقتصر ابن جزي على الإهانة في فعل الأمر والتيئيس في أسلوب النهي فقال: «اخسأوا» كلمة تستعمل في زجر الكلام، ففيها إهانة وإبعاد[2] وكذلك فعل أبو حيان فاقتصر على التيئيس والتوبيخ فقال: «وتنطبق عليهم جهنم ويقع اليأس...»[3].

ثالثاً: الاستفهام:

الفهم (لغةً): معرفتك الشّيء بالقلب، وفهمت الشّيء، عقلته وعرفته، وأفهمه الأمر وفهمه إياه: جعله يفهمه، واستفهمه سأله أنْ يفهمه، وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهيماً[4].

والاستفهام (بلاغياً): طلب العلم بالشّيء المجهول وهو من صيغ الإنشاء الطلبي قال السكاكي: «والاستفهام لطلب حصول في الذهن، والمطلوب حصوله في الذهن إمّا أنْ يكون حكماً بشيء على شيء أو لا يكون، والأوّل هو التصديق ويمتنع انفكاكه من تصور الطرفين، والثّاني هو التصور ولا يمتنع انفكاكه من التصديق»[5].

فإذا كان التردد في الوقوع أو اللاوقوع فهو التصديق وإذا كان التردد

---

(١) ينظر: الكشاف: ٢٠٧/٣، وأنوار التنزيل: ١٦٩/٤، والجامع لأحكام القرآن: ١٤٢/١٢.

(٢) التسهيل: ٥٧/٣.

(٣) البحر المحيط: ٣٨٩/٦.

(٤) لسان العرب، مادة (فهم).

(٥) مفتاح العلوم، ص١٤٦.

في المفرد فهو التصور المعنوي كقولنا: «أقام زيد» يكون الاستفهام للتصديق أي: لوقوع الفعل أمّا إذا قلنا: «أزيد قام أم عمرو؟» يكون الاستفهام للتصور والفرق بين الهمزة التي يطلب بها التصور أو التصديق أنّ كلّ ما صلح أنْ يؤتى بعده بأم المتصلة فهو استفهام عن التصور.

والاستفهام ألفاظ موضوعة له[1] وهي (الهمزة) و(هل)، و(ما)، و(من)، و(أي)، و(لم)، و(كيف)، و(أين) و(أنّى)، و(متى)، و(أيّان).

وقد يخرج الاستفهام مجازياً إلى أغراض بلاغيّة تعرف من سياق الكلام وقرائن الألفاظ قال القزويني: «ثُمَّ هذه الألفاظ كثيراً ما تستعمل في معانٍ غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام»[2].

وأهم هذه الأغراض الواردة عند الشنقيطي وأشهرها:

١- الاستفهام للتعجب:

قال الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر: من الآية ٥٤]: «الظاهر أنَّ استفهام نبي الله إبراهيم -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- للملائكة بقوله: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ استفهام تعجب من كمال قدرة الله تعالى، ويدلّ على ذلك أنّه تعالى ذكر أنّ ما وقع له نظيره لامرأته حيث قالت: ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ [هود: من الآية ٧٣] وقد بيّن تعالى أنّ ذلك الاستفهام لعجبها من ذلك الأمر الخارق للعادة في قوله: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ [هود: من الآية ٧٣]»[3].

---

(١) ينظر: الإيضاح: ١/٢٢٨.

(٢) المصدر نفسه: ١/٢٣٤.

(٣) أضواء البيان، ص٤٦٣.

وهذا التوجيه للمعنى موافق لما ذهب إليه أكثر أصحاب التفسير والبلاغة، كابن جرير الطبري بقوله: «قال: عجب من كبره، وكبر امرأته»[1]، وحمل أبو حيان هذا الاستفهام على التأكيد والاستبعاد والتعجب[2].

٢- الاستفهام للتحقير:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٦]، قال الشنقيطي معلقاً على قوله تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾: «أي: يعيبها وينفي أنّها تشفع لكم وتقربكم إلى الله زلفى... والاستفهام في قوله: «أهذا الذي يذكر آلهتكم» قال فيه أبو حيان في البحر: إنّه للإنكار والتعجب.

والذي يظهر لي أنّهم يريدون بالاستفهام المذكور التحقير بالنبي ﷺ كما تدلّ عليه قرينة قوله: «إن يتخذونك إلا هزوا». وقد تقرّر في فن المعاني أنّ من الأغراض التي تودي بالاستفهام التحقير»[3].

وهذا المعنى الذي ذكره الشنقيطي أشار إليه بعض المفسرين[4]، وذهب

---

(١) جامع البيان: ١١٣/١٧، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٥/١٠، معالم التنزيل: ٣٨٤/٤، وفتح القدير: ١٨٣/٤، ونظم الدرر: ٤٢٠/٤، والتفسير الكبير: ١٥٦/١٩.

(٢) البحر المحيط: ٤٤٦/٥.

(٣) أضواء البيان، ص٩٠٩.

(٤) ينظر: زاد المسير: ٣٣٨/٤، وإرشاد العقل السليم: ٢٢٠/٦، ومدارك التنزيل: ٣٩٧/٤.

الزمخشري إلى أنّ المعنى هنا هو: «استفهام إنكار»[1]. وذكر الآلوسي أنّ: «الاستفهام للإنكار والتعجب»[2]. أما الشوكاني فذهب إلى أنّ المعنى هو: «التذكير بالعيوب»[3].

٣- الاستفهام الإنكاري:

تناول الشنقيطي في تفسيره ذلك الغرض البلاغي، وعرض له الكثير من الأمثلة منها قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء: ٤٠]، قال الشنقيطي: «الهمزة في قوله: «أفأصفاكم ربكم بالبنين» للإنكار، ومعنى الآية أفخصكم ربّكم على وجه الخصوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون، لم يجعل فيهم نصيباً لنفسه، واتخذ لنفسه أدونهم وهي البنات!»[4].

وإلى هذا المعنى ذهب أكثر المفسرين وعلماء البلاغة[5]، وذكر الآلوسي أنّ المعنى هنا: إنكار وتعجب[6].

وتنظر أمثلة أخرى في تفسيره[7].

---

(١) الكشاف: ١١٧/٣.

(٢) روح المعاني: ٤٧/١٧٠.

(٣) فتح القدير: ٤٠٧/٣.

(٤) أضواء البيان، ص٦٤١.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٨٧/١٠، وزاد المسير: ١٧٧/٤، والتفسير الكبير: ١٧٠/٢٠.

(٦) روح المعاني: ١٦٥/٢٢.

(٧) ينظر: على سبيل التمثيل، ص٦٤٥، و٨٧٤.

وجاء الاستفهام الإنكاري عند الشّنقيطي على ثلاثة أنواع:

أ - **الاستفهام الإنكاري التوبيخي:**

والتوبيخ يأتي بمعنى ما كان ينبغي أنْ يكون، كقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٢]، قال الشنقيطي: «الهمزة في قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ﴾ للإنكار والتوبيخ»[(١)]، وإلى ذلك ذهب الرّازي بقوله: «استفهام على سبيل التوبيخ»[(٢)]، وتبعه الآلوسي بقوله: «والفاء للعطف على مقدار يفصح عنه الصلّة على توجيه الإنكار والتوبيخ إلى المعطوفين جميعاً»[(٣)].

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: من الآية ٥٠]، قال الشنقيطي: «الهمزة في قوله: «أفتتخذونه» للإنكار والتوبيخ... أي: أبعد ما ظهر منه من الفسق والعصيان، وشدّة العداوة لكم ولأبويكم -آدم وحواء- تتخذونه وذريته أولياء من دون خالقكم جلّ وعلا بئس للظالمين بدلاً من الله إبليس وذريته»[(٤)]، وإلى هذا ذهب ابن عاشور[(٥)].

قال الزمخشري: «أفتتخذونه» الهمزة للإنكار والتعجيب كأنّه قيل: «أعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته أولياء من دوني...»[(٦)].

---

(١) أضواء البيان، ص٧٤٢.

(٢) التفسير الكبير: ١٤٧/٢١.

(٣) روح المعاني: ٤٥/١٦.

(٤) أضواء البيان، ص٧١٢.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٨٣/١٥.

(٦) الكشاف: ٦٧٩/٢.

وتنظر أمثلة أخرى من تفسيره[1].

ب- الاستفهام الإنكاري بمعنى النفي:

كقوله تعالى: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [يس: ٢٣]، قال الشنقيطي: «الاستفهام في قوله تعالى: «أَأَتَّخِذُ»: للإنكار، وهو مضمن معنى النفي: أي: لا أعبد من دون الله معبودات، إن أرادني الله بضر لا تقدر على دفعه عني، ولا تقرر أن تنقذني من كرب»[2].

وإلى هذا ذهب الآلوسي قائلاً: «إنكار ونفي لاتخاذ جنس الآلهة على الإطلاق»[3]، فيما اقتصر السيوطي على معنى النفي[4]، وقرّر ابن كثير أنّ الاستفهام هذا: «استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع»[5]، فيما اقتصر البغوي على معنى الإنكار وتابعه الشوكاني[6].

ومنه أيضاً مما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ [البقرة: من الآية ١١٤]، قال الشنقيطي: «الاستفهام في هذه الآية إنكاري ومعناه النّفي، فالمعنى: ألاّ أحد أظلم ممن منع مساجد الله... وما ذكره بعض المتأخرين من أنّ الاستفهام في قوله: «ومن أظلمُ»

---

(١) ينظر: على سبيل التمثيل: ص٥٦٩، ١٦٢٥.

(٢) أضواء البيان، ص١٥٢٩.

(٣) روح المعاني: ٢٢/٢٢٧.

(٤) تفسير الجلالين: ١/٥٨١.

(٥) القرآن العظيم: ٦/٥٧١.

(٦) ينظر: معالم التنزيل: ٧/١٤، وفتح القدير: ٥/٣٥٤.

المقصود منه التهويل والتفظيع من غير قصد إثبات الأظلمية للمذكور حقيقة ولا نفيها عن غيره، كما ذكره عنه صاحب الإتقان، يظهر ضعفه؛ لأنّه خلاف ظاهر القرآن»[1].

ج- الاستفهام الإنكاري التقريري:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الأنبياء: من الآية ٤١]، قال الشنقيطي في معرض تفسيره لهذه الآية ناقلاً قول أبي حيان: «والاستفهام في قوله تعالى: «من يكلؤكم» قال أبو حيان في البحر: هو استفهام تقريع وتوبيخ»[2]، ثم نراه يُفصل في هذه الآية قائلاً ما نصه: «وهو عندي يحتمل الإنكار والتقرير، فوجه كونه إنكارياً أنّ المعنى لا كالئ لكم يحفظكم من عذاب الله البتة إلا الله تعالى، أي: فكيف تعبدون غيره. ووجه كونه تقريراً أنهم إذا قيل لهم: من يكلؤكم؟ اضطروا إلى أنْ يقروا بأنّ الذي يكلؤهم هو الله، لأنَّهم يعلمون أنّه لا نافع ولا ضار إلاّ هو تعالى، ولذلك يخلصون له الدعاء عند الشّدائد والكروب، ولا يدعون معه غيره، فإذا أقروا بذلك توجه إليهم التوبيخ والتقريع، كيف يصرفون حقوق الذي يحفظهم بالليل والنهار إلى ما لا ينفع ولا يضير»[3].

والملاحظ أنّ هذا التفصيل من الشنقيطي لم يذكره أكثر العلماء، فذكر الآلوسي إلى أنّه سؤال تقريع وتذنيب[4]، والبقاعي إلى أنّه

---

(١) دفع إيهام الاضطراب، ص٢٢٦، وينظر: الإتقان: ٣/٧٨-٧٩.

(٢) أضواء البيان، ص٩١٣ وينظر : البحر المحيط : ٤/٢٦٩.

(٣) اصواء البيان : ص ٩١٣-٩١٤ .

(٤) ينظر: روح المعاني: ١٧/٥١.

توبيخ[1]، وابن عاشور أنّه إنكار وتقريع[2]. في حين ذهب الماوردي إلى أنّ الاستفهام هذا بمعنى النفي قائلاً: «ومخرج اللفظ مخرج الاستفهام، والمراد به النفي»[3].

٤- الاستفهام التقريري:

وذكرهُ الجرجاني والقزويني وابن هشام[4]. ومعناه حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر في نفسه ووجدانه وفكره. ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: من الآية ٥٣]، قال الشنقيطي مفصلاً في هذا الموضوع ما نصه: «هذا النوع من الاستفهام هو الاستفهام المسمى بـ(استفهام التقرير) والمقصود من استفهام التقرير ليس السؤال عن شيء يفهمه السائل، بل المراد به: حمل المُخَاطِب على أنْ يُقر فيقول (بلى) ولا يكون استفهام التقرير إلاّ في شيء لا يمكن أنْ يُنازع فيه، وإنْ كان يمكن فيه النزاع فالمخاطَب يَعْرِفُ المخاطِبُ أنّه لا ينازع في ذلك الشيء، وأنّه مُقرٌ بهِ.

فمثال الذي لا يمكن أنْ يكون فيه نزاع قوله هنا: «أليس الله بأعلم بالشاكرين» الجواب: بلى: هو الله أعلم ولا يمكن جواب غير هذا لأحد.

أما الجواب الذي يمكن الخلاف فيه، إلاّ أنّ المخاطِب يعلم أن المخاطَب

---

(١) ينظر: نظم الدرر: ٣٠٣/٥.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٥٤/١٧.

(٣) النكت والعيون: ٤٤٨/٣.

(٤) ينظر: أسرار البلاغة، ص٢٨١، ودلائل الإعجاز، ص١٤٩، والإيضاح: ٢٣٥/١، والمغني: ٢٤/١.

مُقرّ به ويكفيه ذلك عن غيره، فكقول جرير يمدح عبد الملك بن مروان[1]:

أَلَسْتُم خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايـــا وأنْدى العَالَمِيْنَ بُطُـــونَ رَاحِ

فهو يعلم أنّ الممدوح يعتقد هكذا، وإنْ كان غيره قد يخالف ويقول: ليسوا أندى الناس بطون راح»[2].

وقال البغوي في تفسيره: «فقال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ فهو جواب لقوله: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ فهو استفهام بمعنى التقرير، أي: الله أعلم بمن شكر الإسلام إذ هداه الله ﷻ»[3]. وإلى هذا المعنى ذهب أكثر المفسرين وعلماء البلاغة[4].

وتنظر أمثلة أخرى من تفسيره[5].

٥- الاستفهام للتوبيخ:

كقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾ [النحل: من الآية ٢٧]، قال الشنقيطي: «ذكر -جلَّ وعلا- في هذه الآية الكريمة أنّه يسأل المشركين يوم القيامة سؤال توبيخ، فيقول لهم: أين

---

(١) ديوان جرير، ص٩٣.

(٢) العذب النمير من مجالس الشنقيطي: ١/٢٨٥-٢٨٦، وينظر: الخصائص: ٢/٤٦٣، ٣/٢٦٩، ومغني اللبيب: ١/١٦.

(٣) معالم التنزيل: ٣/١٤٧.

(٤) ينظر: جامع البيان: ١١/٣٨٨، وزاد المسير: ٢/٣٤٣، والبحر المحيط: ٤/١٤٢، وروح المعاني: ٧/١٦٣، وفتح القدير: ٢/١٢٣، وإرشاد العقل السليم: ٣/١٤٠، والتحرير والتنوير: ٦/١٢٣.

(٥) ينظر: على سبيل التمثيل، ص٨١٤، و١٨٤٤.

المعبودات التي كنتم تخاصمون رسلي وأتباعهم بسببها»[1].

قال القرطبي: «ويقول اين شركائي» أي: بزعمكم وفي دعواكم، أي: الآلهة التي عبدتم دوني، وهو سؤال توبيخ»[2].

ومنه أيضاً مما جاء في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٨٤]، قال الشنقيطي: «ومقصوده بسؤالهم عن أعمالهم قوله تعالى: ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ والسؤال المذكور سؤال توبيخ وتقريع، فقد وبخهم تعالى فيه على فساد الاعتقاد، وفساد الأعمال»[3].

وإلى هذا المعنى ذهب أبو حيان[4]، وقال السمرقندي: «قال الله تعالى لهم أكذبتم بمحمّد ﷺ والقرآن؟ اللّفظ لفظ الاستفهام والمراد به التقرير، يعني: قد كذبتم بآياتنا»[5]، وذهب البيضاوي إلى معنى التبكيت وتابعه الزمخشري[6].

٦- الاستفهام للنفي:

كقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨]، قال الشنقيطي: «والاستفهام في قوله: «هل» يراد به النفي، والمعنى: أهلكنا كثيراً من الأمم الماضية فما ترى منهم

---

(١) أضواء البيان، ص٥٠٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٩٨/١٠، وينظر: أنوار التنزيل: ٣٩٣/٣، ومدارك التنزيل: ١٥٧/٢.

(٣) أضواء البيان، ص١٤٥٤.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٩٢/٧.

(٥) بحر العلوم: ٣٠٣/٣.

(٦) ينظر: أنوار التنزيل: ٢٧٩/٤، والكشاف: ٥٦٢/٢.

من أحد ولا تسمع لهم صوتاً»[1].

قال الآلوسي: «والاستفهام في معنى النفي، أي: ما تشعر بأحد منهم»[2]، وذهب ابن عاشور إلى معنى الإنكار[3].

ومنه أيضاً مما جاء في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: من الآية ١٥٨]، قال الشنقيطي: «هذا استفهام معناه النفي، والمعنى: أنّ هؤلاء الكفار والذين يكذبون بآيات الله ويصرفون عنها، يكذبون بها ويصرفون الناس عنها، ويحملونهم على الإعراض عنها»[4].

قال الرازي: «ومعنى ينظرون ينتظرون و(هل) استفهام معناه النفي»[5]. أمّا ابن كثير فقد قرر أنّ الاستفهام هنا بمعنى الوعيد[6]. وذهب ابن عاشور إلى أنّ الاستفهام «إنكار مشوب بتهكم»[7].

٧- استفهام بمعنى الأمر:

ويأتي الاستفهام بمعنى الأمر، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: من الآية ٩١]، قال الشنقيطي: «وقد تقرّر في فن المعاني أنّ من معاني صيغ الاستفهام التي ترد لها الأمر، كقوله: «فهل أنتم منتهون» أي: انتهوا»[8].

---

(١) أضواء البيان، ص٨٣٢.

(٢) روح المعاني: ١٤٤/١٦.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٩٠/١٦.

(٤) العذب النمير: ٨٩٣/٣-٨٩٤.

(٥) التفسير الكبير: ٦/١٤.

(٦) ينظر: القرآن العظيم: ٣٧١/٣.

(٧) التحرير والتنوير: ٨٦/٢٦٠.

(٨) ينظر: أضواء البيان، ص٥٢٧.

قال الآلوسي: «إيذاناً بأنّ الأمر في الردع والمنع قد بلغ الغاية وأنّ الأعذار قد انقطعت بالكلية»[1]. وإلى ذلك ذهب البغوي وأبو حيان[2]. وذهب ابن كثير إلى أنّ «هذا تهديد وترهيب»[3]، أمّا القرطبي فقال: إنّه «تحذير»[4]، وقال الرازي: «واعلم أنَّ هذا وإن كان استفهاماً في الظاهر إلاّ أنّ المراد منه هو النهي في الحقيقة»[5].

وقال البيضاوي: «فهل أنتم منتهون» إيذاناً بأنّ الأمر في المنع والتحذير بلغ الغاية وأنّ الأعذار قد انقطعت»[6]. وذهب ابن عطية إلى معنى «الوعيد»[7].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: من الآية ٨٠]، قال الشنقيطي: «الظاهر فيه أنّ صيغة الاستفهام هنا يراد بها الأمر»[8].

وإلى هذا المعنى ذهب أكثر المفسرين[9]، قال البيضاوي: «أمر أخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع»[10].

---

(١) روح المعاني: ١٧/٧.
(٢) ينظر: معالم التنزيل: ٩٤/٣، والبحر المحيط: ٥٤٥/٣.
(٣) تفسير القرآن العظيم: ١٧٩/٣.
(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٩/٢.
(٥) التفسير الكبير: ٦٨/١٢.
(٦) أنوار التنزيل: ٣٦٣/٢.
(٧) المحرر الوجيز: ٢٧٣/٢.
(٨) أضواء البيان، ص٩٥٥.
(٩) ينظر: البحر المحيط: ٣٠٨/٦، ومعالم التنزيل: ٩٤/٣، ومدارك التنزيل: ٣٣٥/٢.
(١٠) أنوار التنزيل: ١٠٣/٤.

رابعاً: النِّداء:

النداء لغوياً: النّداء والنّداء: صوت مثل الدُّعاء والرُّغاء، وقد ناداه ونادى به وناداهُ مناداةً ونِداءً أي: صاح به[1].

وقد أدخل البلاغيون النداء في صيغ الإنشاء الطلبي وهو «طلب الإقبال بحرف نائب مناب (ادعو) لفظاً أو تقديراً»[2].

وله حروف معينة، قال فيها ابن عقيل: فإنْ كان المنادى بعيداً فله من حروف النداء: يا، وأي، وآ، وهيا، وإن كان قريباً فله الهمزة، وإنْ كان مندوباً -وهو المتفجع أو المتوجع عنه- فله: وا[3]:

ويخرج النداء من معناه الحقيقي إلى معانٍ مجازية ذكرها البلاغيون. وتناول الشنقيطي المعاني المجازية للنداء في تفسيره وذكر الأغراض البلاغية لأسلوب النداء ومنها:

١- النّداء للتنبيه:

ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٥]، قال الشنقيطي: «... وقرأ هذا الحرف الكسائي: «ألا يسجدوا» بتخفيف اللام من قوله: (ألا)، وعلى قراءة الكسائي هذه، فلفظة (ألا) حرف استفتاح، وتنبيه و(يا) حرف نداء، والمنادى محذوف تقديره (ألاّ يا هؤلاء اسجدوا)، واسجدوا فعل أمر... واعلم أنّ جمهور أهل العلم على ما ذكرنا في قراءة الكسائي من أنّ لفظة (ألا)

---

(١) لسان العرب، مادة (ندى).

(٢) ينظر: الإيضاح: ١/٢٤٥، وتهذيب السعد: ٣/٤٤، والإتقان: ٢/٢٠٩.

(٣) ينظر: شرح ابن عقيل: ٣/٢٥٥-٢٥٦.

للاستفتاح والتنبيه، وأن (يا) حرف نداء حذف منه الألف في الخط، واسجدوا فعل أمر»[1].

وذهب الزمخشري بالقول: «(ألاّ) للتنبيه ويا حرف ومناداة محذوف..»[2]، وتابعه القرطبي؛ إذ ذكر رأي الجوهري القائل إنّ (يا) للتنبيه على قراءة التخفيف في (ألاّ) ثُمَّ قاس الآية على بيت من الشعر جاءت فيه (ألاّ) مخففة. والمعنى على ذلك «ألا يا قوم اسجدوا» على إضمار المنادى وهو رأي الزمخشري وتابعه ابن جزي في المعنى نفسه[3].

أما أبو حيان فقد نقل الشنقيطي كلامه قائلاً: «وهذا القول اختاره أبو حيان في البحر المحيط، قال فيه: والذي أذهب إليه أنّ مثل هذا التركيب الوارد عن العرب ليست (يا) فيه للنداء، وحذف المنادى، لأنّ المنادى عندي لا يجوز حذفه، لأنّه قد حذف الفعل العامل في النداء، وانحذف فاعله لحذفه، ولو حذف المنادى لكان في ذلك حذف جملة النداء، وحذف متعلقه، وهو المنادى، فكان ذلك إخلالاً كبيراً...»[4]، نخلص من هذا أنّ أبا حيان ذهب في تفسيره للآية (يا) حرف تنبيه و لم يعترف بجواز حذف المنادى.

٢- النّداء للاستغاثة:

كقوله تعالى: ﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٥]، قال الشنقيطي: «والجؤار المذكور: هو النداء في قوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ

(١) أضواء البيان، ص١٤٤٠.

(٢) الكشاف: ٣٦٦/٣، وأنوار التنزيل: ٢٦٤/٤-٢٦٥.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٧٣/١٣، والتسهيل: ٩٥/٣.

(٤) أضواء البيان، ص١٤٤٠-١٤٤١، وينظر: البحر المحيط: ٦٦/٧.

فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ [ص: ٣]؛ لأنَّ نداءهم نداء استغاثة واستصراخ»[١].

وذهب الشوكاني بالقول: «النداء هو نداء الاستغاثة منهم عند نزول العذاب بهم»[٢]، وتبعه في ذلك ابن كثير والبغوي[٣].

وقال الماوردي: «قوله: «لا تجأروا» يحتمل وجهين، أحدهما: استغاثوا، والثّاني: دعوا»[٤].

٣- النّداء بمعنى الهلاك:

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ [الكهف: ٤٩]، قال الشنقيطي: «وقولهم: «يا ولينا» الويلة الهلكة، وقد نادوا هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات، فقالوا: يا ويلتنا! أي: يا هلكتنا احضري، فهذا أوان حضورك!»[٥].

خامساً: التّمني:

وهو طلب حصول شيء على سبيل المحبة[٦]. ويكون في الأمر الذي يصعب تحقيقه أو يستحيل، فمن الأمور البعيدة التي يصعب تحقيقها ولكنّها غير مستحيلة قول الشاعر:

---

(١) أضواء البيان، ص١٢٧٢.
(٢) فتح القدير: ٤٨٧/٣.
(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤٨٢/٥، ومعالم التنزيل: ٧٠/٧.
(٤) النكت والعيون: ٧٧/٥.
(٥) أضواء البيان، ص٧١٠.
(٦) مختصر المعاني، ص١٢١.

فيا ليْتَ ما بَيْني وبَيْنَ أحبتي مِنَ البعدِ ما بِيْني وبَيْنَ المَصَائِبِ

ومن الأمور التي يستحيل تحقيقها قول الشاعر:

ليْتَ الكواكب تدنُو لي فأنظمها عقودَ مدحٍ فما أرضى لَكُمْ كلمي

والأداة الموضوعة للتمني هي (ليت)، وقد يُدلّ على التمني بحروف أخرى ليست موضوعة للتمني وهي (هل، لو، لعل)، ولابد من أن يكون نقلها إلى التّمني لأمر من أمور البلاغة[1].

أما (هل) فهي حرف للاستفهام تخرج إلى معنى التمني كما في قوله تعالى: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ﴾ [الأعراف: من الآية ٥٣]، ولعل الكفار لهول ما هم فيه يتعلقون بوهم هو أنْ يكون لهم في الآخرة من يشفع لهم، وهذا التّمني دلّت عليه الأداة (هل) في سياق العبارة، وهم يطلبون المستحيل، يقول البلاغيون: إنَّ الغرض من استخدام (هل) في التمني هو إبراز المتمني المستحيل في صورة المستفهم عنه الممكن الحصول إظهاراً لكمال العناية به والرغبة فيه[2]. قال الشنقيطي في ذلك: «إنَّ الكفار إذا عاينوا الحقيقة يوم القيامة يقرون بأنّ الرسل جاءت بالحق، ويتمنون... أن يشفع لهم شفعاء فينقذوهم»[3].

قال القرطبي: استفهام فيه معنى التمني»[4] وتبعه الشوكاني[5].

مثال آخر للحرف (هل):

ومنه قوله تعالى: ﴿فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٣].

---

(١) بلاغة التركيب في علم المعاني، ص١٩٨.

(٢) البلاغة من منابعها، ص٥٢، وبلاغة التركيب في علم المعاني، ص١٩٨.

(٣) أضواء البيان، ص٣٢٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٢١٨/٧.

(٥) ينظر: فتح القدير: ٢١٩/٢.

قال الشنقيطي: «لفظة (هل) هنا يراد بها التمني، والآية تدلّ على إنهم تمنوا التأخير والإنظار، أي: الإمهال»[1].

وهذا ما ذهب إليه أكثر المفسرين[2].

وأمّا (لو) فهي في أصل وضعها حرف امتناع لامتناع، تخرج إلى معنى التمني في مثل قوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٢]، والنكتة في التمني بـــ(لو) ما يشعر به من عزّة المتمني حيث يعرض في صورة ما لا يوجد لأنّ (لو) حرف امتناع لامتناع[3]، قال الشنقيطي: «إنّ الكفار يوم القيامة، يتمنون الرد إلى الدنيا، لأنَّ (لو) في قوله هنا: «لو أنَّ لنا» للتمني، (وَالكرَّة) هنا: الرجعة إلى الدنيا. وأنّهم زعموا أنّهم إنْ ردوا إلى الدنيا كانوا من المؤمنين المصدقين للرسل فيما جاءت به»[4].

وذهب الزمخشري بالقول: «ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كأنّه قيل فليت لنا كرة، وذلك لِما بين معنى (لو وليتَ) من التلاقي في التقدير»[5]، وذهب القرطبي في تفسيره للآية بالقول: «ولو وقع لنا رجوع إلى الدنيا لآمنا حتى يكون لنا شفعاء تمنوا حين لا ينفعهم التمني»[6]، وهذا ما

---

(١) أضواء البيان، ص١٤٣٣.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ١٦٤/٦، ومعالم التنزيل: ١٣٠/٦، وإرشاد العقل السليم: ٢٦٥/٦، والمحرر الوجيز: ٢٩٤/٤، ولباب التأويل: ١٢٥/٥.

(٣) بلاغة التركيب في علم المعاني، ص١٩٨، وينظر: علم المعاني، ص٦٣.

(٤) أضواء البيان، ص١٤٣٠.

(٥) الكشاف: ٣٢٨/٣، وأنوار التنزيل: ٢٤٥/٤.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ١١٠/١٣.

ذهب إليه أبو حيان[1].

وأمّا (لعلَّ) فأصلها للترجي، لكنّ (لعل) تخرج أيضاً إلى معنى التمني في مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]، فبلوغ فرعون أسباب السماوات أمر مستحيل، وكانَ الأولى أنْ تستعمل هنا (ليت) لكنَّ استعملت في مكانها (لعل) لأنّ الغرض إبراز الأمر المستحيل في صورة الممكن المتوقع إظهاراً لكمال العناية به[2].

❑ الإنشاء غير الطلبي:

وهو ما لا يستدعي مطلوباً، وهذا النوع من الإنشاء لم يحظ بمثل ما حظى به القسم الأول من الاهتمام، ولهذا تقل المباحث البلاغية فيه ولأنّ أكثر أنواعه في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء[3]، وينحصر في الأساليب الآتية:

١- أسلوب التعجب:

وذلك كقوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [مريم: ٣٨]، قال الشنقيطي مبيناً أسلوب التعجب في هذه الآية الكريمة ما نصه: «قوله: «أسمع بهم وأبصر» صيغتا تعجب، ومعنى الآية الكريمة أنّ الكفار يوم القيامة يسمعون ويبصرون الحقائق التي أخبرتهم بها

---

(١) ينظر: البحر المحيط: ٢٠/٧.

(٢) البلاغة من منابعها، ص٥٢.

(٣) بلاغة التركيب في علم المعاني، ص١٩٦.

الرسل سمعاً وإبصاراً عجيبين، وأنّهم في دار الدنيا في ضلال وغفلة لا يسمعون الحقّ ولا يبصرونه... واعلم أنّ صيغة التعجب إذا كانت على وزن أفعل به فهي فعل عند الجمهور، وأكثرهم يقولون: إنّه فعل ماض جاء على صورة الأمر. وبعضهم يقول: إنّه فعل أمر لإنشاء التعجب، وهو الظاهر من الصّيغة، ويؤيده دخول نون التوكيد عليه، كقول الشاعر[1]:

ومستبدلٍ مِنْ بَعْد غضيباً صريمة فأحربه من طول فقر وأحريا

لأنَّ الألف في قوله: «وأحريا» مبدلة من نون التوكيد الخفيفة على حدّ قوله في الخلاصة:

وأبدلنها بعد فتح ألفا وقفاً كما تقولُ في قِفنْ قفا

والجمهور أيضاً أنّ صيغة التعجب الأخرى التي هي ما أفعله فعل ماضٍ، خلافاً لجماعة من الكوفيين في قولهم: إنّها اسم بدليل تصغيرها في قول العرجي:

يَاما أُميلِيحَ غِزلاناً شَدنَّ لنا من هؤليّائكنَّ الضّال السّمرِ

قالوا: والتصغير لا يكون إلاّ في الأسماء، وأجاب من خالفهم بأنّ تصغيرها في البيت شاذ يحفظ ولا يقاس عليه»[2].

وقال ابن عاشور في هذه الآية: «صيغتا تعجب، وهو تعجب على لسان الرسول ولسان المسلمين»[3]. وأكثر المفسرين قالوا بهذا المعنى[4].

---

(١) البيت موجود في شرح ابن عقيل: ١٤٨/٣.

(٢) أضواء البيان، ص٧٨٠-٧٨١.

(٣) التحرير والتنوير: ٤٠/١٦.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل: ١٦/٤، وإرشاد العقل السليم: ٢٦٥/٥، واللباب في علوم الكتاب: ٦٨/١٣، والكشف والبيان: ٢١٦/٦، وتفسير السراج المنير: ٣٣٧/٢.

٢- أسلوب القسم:

وهو من أساليب الإنشاء غير الطلبي، عرفه ابن القيم قائلاً: «وهو أنْ يقسم في كلامه شيء لم يرد به تأكيد كلامه ولا تصديقه، وإنّما يريد به بيان شرف المقسم به وعلو قدره عنده»[١].

وقد أورد الشنقيطي أسلوب القسم في تفسيره، فبيّن القسم، والمقسم به والحكمة منها في الآيات الواردة فيها.

وقد جاء في تفسيره أنّ بين كلّ قسم ومقسم عليه مناسبة ارتباط في الجملة غالباً، والله تعالى يقسم بما شاء على ما شاء، لأنّ المقسم به من مخلوقاته فاختيار ما يقسم به هنا أو هناك غالباً يكون لنوع مناسبة[٢]، لأنّها دالة على قدرته[٣].

وإنّه يذكر أحياناً وظيفة القسم في المقسم عليه، وفي هذا قال ابن القيم: «والمقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه، فلابدَّ أن يكون بما يحسن فيه كالأمور الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها، فأما الأمور الظاهرة المشهورة، كالشمس، والقمر، والليل، والنهار، والسماء، والأرض، فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها»[٤].

وهذا ما التزم به الشنقيطي خاصة أثناء كلامه على صحة الرسالة، وكونه هو المعبود الحق، وكون البعث حقّ، إلى غيره، فمثلاً فإنّه تكلّم على

---

(١) الفوائد المشوق، ص١٦٧.

(٢) أضواء البيان، ص٢٠٥٤ من التتمة.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٠٧٤ من التتمة.

(٤) التبيان في أقسام القرآن، ص٩.

الأمور السابقة بقوله ما نصه: «أمّا كون الرّسول ﷺ مرسلاً حقًّا ففي قوله تعالى هنا: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤]، يعني: أي لا وجه للعجب المذكور؛ لأنْ يجيء المنذر الكائن منهم. لاشكَّ في أنّه بإرسال من الله حقاً.

وقولهم: ﴿هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾ [ص: من الآية ٤]، إنَّما ذكره الله تعالى إنكاراً عليهم وتكذيباً لهم، فعرف بذلك أنّ في ضمن المعنى: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص: من الآية ١]. إنَّك مرسل حقاً ولو عجبوا من مجيئك منذراً لهم... وأما كون الإله المعبود واحد لا شريك له، ففي قوله هنا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [ص: ٥]، لأنَّ الهمزة في قوله: «أجعل» للإنكار المشتمل على معنى النفي... وهذان الأمران قد دلت آيات أخر من القرآن العظيم، على إنّ الله أقسم على تكذيبهم فيها وإثباتها بالقسم صريحاً كقوله تعالى مقسماً على إنَّ الرسول مرسل حقاً: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [يس: ١-٣]...، وقد جاء تأكيد صحة تلك الرسالة في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٢]، وأمّا كونه تعالى هو المعبود الحقّ لا شريك له، فقد أقسم تعالى عليه في قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ﴾ [الصافات: ٤]... وأمّا كون البعث حقًّا؛ فقد أقسم عليه إقساماً صحيحاً صريحاً في آيات من كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧]، وقوله: ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي

لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ [سبأ: ٣]، أي: الساعة»[١].

ويذكر أيضاً المقسم به الذي قال عنه ابن القيم: «لابدَّ أن يكون آية ظاهرة تدلّ على الربوبية، وأمّا الأمور الغائبة التي يؤمن بها فإنّه يقسم عليه، وإنّما يقسم سبحانه بملائكته وكتابه، لظهور شأنهما، ولقيام الأدلة والأعلام الظاهرة، الدالة على ثبوتهما»[٢].

قال الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١-٤]،: «أنّ المراد بالنجم إذا هوى هنا في هذه السورة، وبمواقع النجوم في الواقعة هو نجوم القرآن التي نزل بها الملك نجماً فنجماً، وذلك لأمرين:

أحدهما: أنّ هذا الذي أقسم الله عليه بالنجم إذا هوى الذي هو أنّ النبي ﷺ على حق وأنّه ما ضلّ وما غوى وما ينطق عن الهوى إنْ هو إلاّ وحي يوحى موافق في المعنى. لما أقسم عليه بمواقع النجوم. وهو قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٨] إلى قوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة: ٨٠].

وثانيهما: أنّ كون المقسم به المعبر عنه بالنجوم، هو القرآن العظيم أنسب لقوله بعده: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٦]، لأنّ هذا التعظيم من الله يدلّ على إنَّ هذا المقسم به في غاية العظمة»[٣].

---

(١) أضواء البيان، ص١٥٤٧.

(٢) التبيان في أقسام القرآن، ص٩٠.

(٣) أضواء البيان، ص١٨٠٢-١٨٠٣.

وتطرق إلى أسلوب الحذف في القسم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥]، قال الشنقيطي: «وقوله تعالى: «ليستخلفنَّهم»، اللام موطئة لقسم محذوف، أي: وعدهم الله، وأقسم في وعده ليستخلفهم»[(١)].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، قال الشنقيطي: «وحذف الفاء من قوله: «إنَّكم لمشركون» يدلّ على قسم محذوف... فهو قسم من الله -جل وعلا- أقسم به على إنّ من اتبع الشّيطان في تحليل الميتة أنَّه مشرك، وهذا الشرك مخرج عن الملة بإجماع المسلمين»[(٢)].

٣- أسلوب المدح والذم:

وهو من الإنشاء غير الطلبي وقد ذكر الشنقيطي هذا النوع في تفسيره فالمدح كما في قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ﴾ [البقرة: ٢٧١]، قال الشنقيطي: «وكقوله ﷻ مثنياً على من تصدق، فأبدى صدقته: «إن تبدوا الصدقات فنعماً هيَ» ثم بين أنَّ إخفاءها وإيتاءها الفقراء، خير من إبدائها الذي مدحه بالفعل الجامد، الذي هو لإنشاء المدح الذي هو نعم»[(٣)]. وهذا ما ذكره أكثر

---

(١) المصدر نفسه، ص١٣٨١.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٨٠.

(٣) أضواء البيان، ص١٥٦٢.

المفسرين[1].

قال البقاعي: «فجمع لها الأمداح المبهمة؛ لأنّ نعم كلمة مبالغة تجمع المدح كلّه، وما كلمة مبهمة تجمع الممدوح فتطابقتا في الإبهام»[2].

وكقوله تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠]، قال الشنقيطي: «مدح الله -جلّ وعلا- دار المتقين التي هي الجنة في هذه الآية الكريمة، لأنّ «نعم» فعل جامد لإنشاء المدح»[3]. وهذا مذهب أغلب المفسرين[4].

والذم كما في قوله تعالى: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩]، قال الشنقيطي: «فقد سمى -جلّ وعلا- في هذه الآية الكريمة تركهم التناهي، عن المنكر فعلاً، وأنشأ له الذم بلفظة بئس التي هي فعل جامد لإنشاء الذم في قوله: «لبئس ما كانوا يفعلون» أي: وهو تركهم التناهي، عن كل منكر فعلوه»[5].

وهذا ما ذهب إليه أكثر المفسرين[6].

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل: ١٦/٤، وإرشاد العقل السليم: ٢٦٥/٥، واللباب في علوم الكتاب، ٦٨/١٣، والكشف والبيان: ٢١٦/٦، وتفسير السراج المنير: ٣٣٧/٢.

(٢) نظم الدرر: ٥٢٦/١.

(٣) أضواء البيان، ص٥١٠.

(٤) ينظر: الكشاف: ٥٦٤/٢، والبحر المحيط: ١١٠/٥، واللباب في علوم الكتاب: ٥٠/١٢، والبحر المديد: ٢٨/٤، والتحرير والتنوير: ١١٥/١٣.

(٥) أضواء البيان، ص١٤٠٨.

(٦) ينظر: أنوار التنزيل: ٣٤٥/٢، والبحر المحيط: ٥٤٩/٣، وإرشاد العقل السليم: ٧٠/٣، وتفسير السراج المنير: ٣١٢/١.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: من الآية ٢٥]، قال الشنقيطي: «(ساء) فعل جامد لإنشاء الذم بمعنى بئس»[١].

وهذا ما ذهب إليه أغلب المفسرين[٢].

٤- أسلوب الرّجاء:

ويكون بـــ(لعل) وبأفعال الرجاء عسى وحرى واخلولق، وتكلم الشنقيطي على دلالة (لعل) و(عسى) للترجي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: من الآية٣١]، قال الشنقيطي في كلامه على (لعل): «وقوله: «لعلّكم تُفلحون»... إنّها على بابها من الترجي أي: توبوا إلى الله، رجاء أنْ تفلحوا، وعلى هذا فالرجاء بالنسبة إلى العبد، أما لله -جلّ وعلا- فهو عالم بكلِّ شيء، فلا يجوز في حقه إطلاق الرّجاء، وعلى هذا فقوله تعالى لموسى وهارون في مخاطبة فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤] وهو -جل وعلا- عالم بما سبق في الأزل من أنّه لا يتذكر ولا يخشى، معناه: فقولا له قولاً ليناً رجاء منكما بحسب عدم علمكما بالغيب أن يتذكر أو يخشى»[٣].

وتكلم الشنقيطي على دلالة (عسى) للترجي وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ

---

(١) أضواء البيان، ص٥٠٦.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل: ٣٩٣/٣، وإرشاد العقل السليم: ١٠٧/٥، وبحر العلوم: ٢٧٠/٢، واللباب في علوم الكتاب: ٤٣/١٢.

(٣) أضواء البيان، ص١٣٦٤، ١٢٣١، والعذب النمير: ٢١٧/١-٢١٨، و١٢٨٧/٣.

سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [التحريم: ٨]، قال ما نصه: «فقوله في آية التحريم هذه: «يا أيها الذين آمنوا» كقوله في آية النور: «أَيُّهَ المؤمنونَ». وقوله في آية التحريم: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ كقوله في آية النور: «لعلكم تُفلحون»، لأنّ من كفرت عنه سيئاته وأدخل الجنة، فقد نال الفلاح بمعنييه... والرجاء المفهوم من لفظة «عسى» في آية التحريم، هو المفهوم من لفظة «لعل» في آية النور كما لا يخفى»[1].

(١) أضواء البيان، ص١٣٦٥.

المبحث الثّالث

التقديم والتأخير

أسلوب التقديم والتأخير من أبرز وأهم الظواهر البلاغية في لغة العرب، إذ إنّ من سنن العرب «تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخراً وتأخيره وهو في المعنى مقدم»[1]، إنّ ظاهرة التقديم والتأخير ظاهرة نحوية تناولها النحويون القدماء فكان سيبويه (ت ١٨٠هـ) أوّل من اعتنى بالتقديم والتأخير وأشار إلى دلالات بلاغية كتقديم الفاعل والمفعول للعناية والاهتمام[2]. ودلالات تتعلق بالصنعة الشّعرية كالضرورة الشعريّة التي قد يؤدي فيها التقديم والتأخير إلى قبح الكلام أحياناً.

وقد تابع النحاة واللّغويون سيبويه في آرائه كالمبرد (ت ٢٨٥هـ) وابن جني (ت ٢٩٣هـ) الذي تفرد في مناقشته لهذه الظاهرة بينما تميز الفراء (ت ٢٠٧هـ) والأخفش (ت ٢١٥هـ) في نصّهما على مواضع التقديم والتأخير من نوع تقديم اللّفظ والتأخير في المعنى إلى أنْ وصل البحث إلى الجرجاني (ت ٤٧١هـ) الذي درس الظاهرة -مفيداً من سيبويه- دراسة دقيقة مفصّلة وأعطى فيها لكلّ حالة خصوصيتها المعنوية، وقدّم دراسته على وفق منهج علمي دقيق وتتابعت الدراسات البلاغيّة للتقديم والتأخير فكان الزركشي (ت ٧٩٤هـ) والسيوطي (ت ٩١١هـ) في كتابيهما البرهان والإتقان قد قدّما حشداً للآراء وبياناً كاشفاً لهذه الظاهرة.

---

(١) المزهر: ١/٣٣٨.

(٢) ينظر: الكتاب: ٢/١٢٧-١٢٨.

❑ التقديم والتاخير عند الشنقيطي:

علمنا ممّا سبق أن علماء البلاغة أولوا اهتمامهم في موضوع التقديم والتأخير، الخاص بالمسند والمسند إليه، وتقديم متعلقات الفعل، وحصروا الحديث عليه في هذه المباحث الثلاثة، وقد بينوا الأغراض البلاغية وراء كلّ تقديم وتأخير، وهنا نجد إنّ الشنقيطي يقف على بعض الآيات القرآنية، التي اشتملت على أسلوب التقديم والتأخير، والتي عالجها بطريقته الخاصة في بيان سبب التقديم والتأخير، وسأشير -إن شاء الله- إلى هذه الآيات، ومع العلم إنّ الشنقيطي لم يتوسع بالقول في هذا الأسلوب، وإنّما اكتفى ببعض الإشارات في أثناء تفسيره للآيات القرآنيّة الكريمة.

١- تقديم الخبر:

ورد تقديم الخبر عند النحاة وذكروا في غير ما موضع، فقالوا: إنّ تقديم الأعراف هو بالأصل ويقصدون هنا المبتدأ، ويتأخر الأقل تعريفاً ليكون خبراً إلاّ أنّ هذه القاعدة ليست ثابتة[1]. فقد يتقدم الخبر لغرض بلاغي أو لسياق الكلام، فقد ورد تقديم الخبر في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران: من الآية ١٤٦]، قال الشنقيطي: «هذه الآية الكريمة على قراءة من قرأ[2] (قتل) بالبناء بالمفعول يحتمل نائب الفاعل فيها على أنْ يكون لفظ (ربيون) وعليه فليس في (قتل) ضمير أصلاً ويحتمل أنّ نائب الفاعل فيها على أنْ يكون لفظ (ربِّيون) وعليه فليس في (قتل) ضمير أصلاً ويحتمل أنّ نائب الفاعل ضميرٌ

---

(١) ينظر: الكتاب: ٨٨/١، والمقتضب: ١٢٧/٤-١٩٠، والمغني: ٥٨٨/٢.

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (قتل معه)، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي (قتل) بألف. (السبعة في القراءات، ص٢١٧).

عائدٌ إلى النّبي، وعليه (فمعه) خبر مقدم وربيّون مبتدأ مؤخر سوغ الابتداء به اعتماداً على الظرف قبله ووصفه بما بعده والجملة حالية والرابط الضمير وسوغ إتيان الحال من النكرة التي هي وصفه بالقتل ظلماً وهذا هو أجود الأعاريب المذكورة في الآية على هذا القول»[1].

قال الرازي: «قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو «قتل معه» والباقون «قاتل معه» فعلى القراءة الأولى يكون المعنى: أنّ كثيراً من الأنبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم ما وهنوا في دينهم، بل استمروا على جهاد عدوهم... وقوله: «معه ربيون» حال بمعنى قتل، حال ما كان معه من ربيون، أو يكون على معنى التقديم والتأخير، أي: وكأين من نبي معه ربيون كثير قتلوا فما وهن الربيون على كثرتهم»[2].

هذا وقد اكتفى أغلب المفسرين على ذكر القراءات الخاصة بهذه الآية ولا يذكرون مسألة التقديم والتأخير[3].

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [البقرة: من الآية ٧]، قال الشنقيطي: «والجار والمجرور خبر المبتدأ الذي هو «غشاوة» وسوغ الابتداء بالنكرة فيه اعتمادها على الجار والمجرور قبلها. ولذلك يجب تقديم هذا الخبر، لأنّه هو الذي سوغ الابتداء بالمبتدأ»[4].

---

(١) أضواء البيان، ص١٤٢.

(٢) التفسير الكبير: ٤٠٦/٤.

(٣) ينظر: جامع البيان: ٢٦٤/٧، وتفسير القرآن العظيم: ١٣٠/٢، والجامع لأحكام القرآن: ٢٢٨/٤، ومدارك التنزيل: ١٨٧/١.

(٤) أضواء البيان، ص٤٣.

٢- تقديم المفعول به:

ذكر سيبويه في كتابه أنّ المفعول به والفاعل يقدّمان للاهتمام والعناية[١]. وقد تقدّم المفعول به على فعله في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، فتعرّض النحاة والبلاغيون لهذا التقديم ذاكرين أهم أغراضه البلاغية.

ومن تلك المواضع التي تناولها الشنقيطي من ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، حيث قال الشنقيطي: «نادى الله -جلّ وعلا- عباده المؤمنين، وأكد لهم أنّ أرضه واسعة، وأمرهم أن يعبدوه وحده دون غيره، كما دل عليه تقديم المعمول الذي هو إياي... والمعنى: أنّهم إنْ كانوا في أرض لا يقدرون فيها على إقامة دينهم، أو يصيبهم فيها أذى الكفار، فإنّ أرض ربهم واسعة فليهاجروا إلى موضع منها يقدرون فيه على إقامة دينهم، ويسلمون من أذى الكفار، كما فعل رسول الله ﷺ والمسلمون»[٢].

وقال الآلوسي: «إياي» معمول لفعل محذوف يفسره المذكور... ولزم أنْ يقدر الفعل المحذوف العامل في «إياي» مؤخراً لئلا يفوت التعويض عن فعل الشرط مع إفادة الاختصاص والإخلاص، فالمعنى: إنّ أرضي واسعة فإن لم يخلصوا لي العبادة في أرض فأخلصوها لي في غيرها»[٣] وإلى ذلك ذهب أبو حيان والزمخشري[٤].

---

(١) الكتاب: ٣٤/١.

(٢) أضواء البيان، ص١٤٦٤.

(٣) روح المعاني: ١٠/٢١.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ١٥٣/٧، والكشاف: ٤٦٥/٣.

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٠]، قال الشنقيطي: «قدم المفعول لأجل الاختصاص، أي لا يظلمون بذلك إلا أنفسهم»[(١)].

وقال الرازي: «وإمّا تقديم المفعول فهو للاختصاص كأنّه قيل وخصوا أنفسهم بالظلم وما تعدى أثر ذلك الظلم عنهم إلى غيرهم»[(٢)]، وتبعه أبو حيان[(٣)].

٣- تقديم الحال على عامله الظرف:

اختلف النّحاة والبلاغيون في مسألة تقديم الحال على عامله الظرف، فمنهم من أجاز ذلك، ومنهم من لم يجز، ومن ذلك ما أورده الشنقيطي في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: ٢٨]، قال الشنقيطي: «وقوله تعالى: «إلا كافة للناس»، استشهد به بعض علماء العربية على جواز تقدم الحال على صاحبها المجرور بالحرف كما أشار له ابن مالك في الخلاصة بقوله:

وسبق حال ما بحرف جر قد أبوا ولا أمنعه فقد ورد

قالوا: لأنّ المعنى: وما أرسلناك إلاّ للناس كافة: أي: جميعاً، أي: أرسلناك للناس، في حال كونهم مجتمعين في رسالتك، وممن أجاز ذلك أبو علي الفارسي، وابن كيسان، وابن برهان، ولذلك شواهد في شعر العرب،

---

(١) العذب النمير: ١٦٤٦/٤.

(٢) التفسير الكبير: ٤٨/١٥.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٤٢٤/٤.

كقول طليحة بن خويلد الأسدي[1]:

فإنْ تكُ أذوادٍ أصبْنَ ونـــسوة فَلنْ يذهبوا فزعاً بقتلِ حبـــال

فقوله فزعاً: أي: هدراً حال، وصاحبه المجرور بالباء الذي هو بقتل، وحبال اسم رجل»[2].

وبعدها نرى أنّ الشنقيطي قد فصَّل في هذه الآية ذاكراً أقوال العلماء فيها قائلاً ما نصه:

وقال الزمخشري في الكشاف في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ إلا رسالة عامة لهم محيطة بهم، لأنّها إذا شملتهم، فإنّها قد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم[3].

وقال الزجَّاج: المعنى: أرسلناك جامعاً للناس في الإنذار والإبلاغ، فجعله حالاً من الكاف، وحقّ التاء على هذا أنْ تكون للمبالغة كتاء الرواية، والعلامة، ومن جعله من المجرور متقدماً عليه فقد أخطأ، لأنّ تقدم حال المجرور عليه في الإحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار، وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ ثم لا يقنع به حتى يضم إليه أنْ يجعل اللام بمعنى إلى، لأنّه لا يستوي له الخطأ الأوّل إلاّ بالخطأ الثّاني، فلابدَّ له من ارتكاب الخطأين.

وقال الشيخ الصّبان في حاشيته على الأشموني: جعل الزمخشري «كافة» صفة لمصدر محذوف أي رسالة كافة للناس، ولكنْ اعترض بأنّ كافة مختصة بمن يعقل وبالنصب على الحال كطرأ، وقاطبة.

---

(١) البيت موجود في شرح ابن عقيل: ٢/٢٦٥.

(٢) أضواء البيان، ص١٥١٨.

(٣) الكشاف: ٣/٥٩٢.

ثمَّ يرجح الشنقيطي بين هذه الأقوال قائلاً: «وما ذكره الصّبان في «كافة» هو المشهور المتداول في كلام العرب، وأوضح ذلك أبو حيان في البحر»[1].

وهذا هو الصحيح ذلك لأنّ المتبادر أنّ «كافة» حال من الناس قدم مع إلا عليه للاهتمام[2].

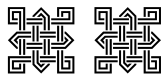

(١) أضواء البيان، ص١٥١٩، وينظر: البحر المحيط: ٢٦٩/٧.

(٢) روح المعاني: ١٤١/٢٢.

المبحث الرابع

الحذف والذكر

الذكر: هو وجود كلمة على جهة التذكير بالمعنى.

والحذف هو: إسقاط سبب خفيف[1].

وهو ملحظ نحوي دقيق المسلك لهُ سماته المتفرِّدة التي تجعله شبيهاً بالسحر[2]. ولهذا عبَّر عنه ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ). أنّه نوع من التأليف شريف لا يكاد يلجهُ إلاّ فرسان البلاغة، وذلك لعلو منزلته[3].

فابن الأثير يعدّهُ نوعاً من التأليف النحوي الدقيق الذي يكتشفه أهل البلاغة. ولا شك في أنّ أوّل من طرق بابه هم –النحاة– الذين عنوا بدراسته وبيَّنوا مواضعه؛ إذ كانوا يذكرون اللفظ ويحذفونه حسبما يقتضيه السياق والمعنى.

فقد أشار إليه سيبويه في أكثر من موضع من (الكتاب) مبيناً أنواعه وكاشفاً عن أسبابه مؤكداً أنّ ذلك من سمة العرب الفصحاء في أساليبهم[4]. وعدّه ابن جني (ت ٣٩٢هـ) باباً قيماً من أبواب شجاعة العربية[5].

ومن هنا يبدو أنّ النحاة الأوائل قد أدركوا أهميّة المباحث الإسناديّة في دلالة الكلام، أسلوباً موضوعيًّا فنياً لذا كانت: «عنايتهم الفائقة بدراسة

---

(١) التعريفات، ص٦١.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز، ص١٤٦.

(٣) الجامع الكبير، ص١٢٢.

(٤) ينظر: الكتاب: ٨/١، ١١١، و٢٧٩ و١٤٤/٢.

(٥) ينظر: الخصائص: ٣٦٠/٢ وما بعدها.

الكلام العربي والوقوف على أساليب التعبير به، والبحث فيما يعرض لها من تعريف وتنكير، وتقديم وتأخير وإضمار وإظهار، وفق ما تقتضيه معاني الكلام وظروف القول ومناسباته»[1].

وكذلك اهتم البلاغيون بحذف المسند إليه وحذف المسند وحذف المفعول، ورأوا الجمال والروعة يتجليان في العبارة عندما يحذف ركن من أركانها، ووجدوا من وراء ذلك دواعي بلاغية شتى ومعاني مختلفة، وأدركوا أنه يفقد قيمته عندما لا يقوم في العبارة دليل عليه، وإنّ الحذف له فوائد وأسباب وشروط حددها العرب بلغتهم واستنبطها البلاغيون بحذقهم[2].

لقد ذكر الشنقيطي موضوع الحذف في تفسيره، مبيناً المحذوف والمواضع التي يحدث فيها الحذف، وقد اصطبغت دراسته بالصبغة النحوية تارةً والبلاغية تارةً أخرى، وأنه انحاز في تفسيره انحيازاً بيّناً للحذف على حساب الذكر.

ومن صور الحذف التي عرض لها الشنقيطي في تفسيره.

١- حذف المبتدأ:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٧]، قال الشنقيطي: «وقوله: «متاع قليل» خبر مبتدأ محذوف، أي: متاعهم في الدنيا قليل»[3].

قال الشوكاني: «وارتفاع «متاع قليل» على إنّه خبر مبتدأ محذوف،

---

(١) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، ص٢٥.

(٢) ينظر: البرهان، ص٦٨٦-ص٦٩٤.

(٣) أضواء البيان، ص٥٥٧.

أي: متاعهم متاع قليل»[1].

وقد نقل الشنقيطي قول الزمخشري في معنى الآية وهو: منفعتهم في الدنيا متاع قليل[2].

وقال النسفي في ذلك: «هو خبر مبتدأ محذوف، أي: منفعتهم فيما عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعذابها عظيم»[3].

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم: ٢]، قال الشنقيطي: «وقوله: «ذكر رحمت ربك» خبر مبتدأ محذوف، أي: هذا ذكر رحمة ربك، وقيل: مبتدأ خبره محذوف، وتقديره: فيما يتلى عليكم ذكر رحمة ربك، والأول أظهر»[4]. قال الآلوسي: «ذكر رحمت ربك» خبر مبتدأ محذوف، أي: هذا المتلو (ذُكِرَ)... الخ»[5]، وقال الشوكاني: «خبر لمبتدأ محذوف، أي: هذا ذكر رحمة ربك»[6] وإلى ذلك ذهب النسفي[7].

وقد أكثر الشنقيطي من ذكر هذا النوع في تفسيره[8].

٢- حذف الخبر:

أشار الجرجاني إلى حذف المسند (الخبر) عندما يكون في العبارة (إنّ)

---

(١) فتح القدير: ٢٠٣/٣.

(٢) أضواء البيان، ص٥٥٧، وينظر: الكشاف: ٥٩٨/٢.

(٣) مدارك التنزيل: ١٨٥/٢.

(٤) أضواء البيان، ص٧٤٨.

(٥) روح المعاني: ٥٨/١٦.

(٦) فتح القدير: ٣٢٥/٣.

(٧) مدارك التنزيل: ٢٦٠/٢.

(٨) ينظر: ص٧٤٣ و٧٥٣ و٨٤٢ و١٥٥٥ و١٥٨٢ و١٦٩٦ و١٨٢٥ و١٨٢٨.

المؤكدة؛ إذ تغني هذه عن الخبر فيورث حذفه المعنى عمقاً وتوكيداً[1]، ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: من الآية ٢٥]، قال الشنقيطي: «اعلم أنّ خبر إنَّ قوله هنا: «إنّ الذين كفروا» محذوف كما ترى. والذي تدل عليه الآية أن التقدير: إنّ الذين كفروا، ويصدون عن سبيل الله نذيقهم من عذاب أليم. كما دلَّ على هذا قوله في آخر الآية: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥] وخير ما يُفسر به القرآن القرآن»[2].

قال النسفي: «وخبر (إنَّ) محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره: إنّ الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذابٍ أليم، وكلّ من ارتكب فيه ذنباً فهو كذلك[3] وإلى ذلك ذهب أغلب المفسرين[4].

٣- حذف الفعل:

وقد تطرق إليه الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠]، قال الشنقيطي: «والمقرر في علم العربية أن (لو) لا تدخل إلاّ على الأفعال فيقدر لها في الآية فعل محذوف، والضمير المرفوع بعد «لو» أصله فاعل الفعل المحذوف، فلما حذف الفعل فصل الضمير. والأصل: قُلْ لو تملكون، فيحذف

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز، ص٢٤٧.

(٢) ينظر: أضواء البيان، ص٩٨٤.

(٣) مدارك التنزيل: ٣٥٢/٢.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ٢١/٢٣، والكشاف: ١٥٢/٣، والبحر المحيط: ٣٣٦/٦، وأنوار التنزيل: ١٢٢/٤.

الفعل فبقيت الواو فجعلت ضميراً منفصلاً هو: أنتم»[1].

قال البيضاوي: «وأنتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده... وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الإيجاز»[2] وإلى ذلك ذهب النسفي[3]. وقال الآلوسي: «لأنّ (لو) يمتنع أنْ يليها الاسم والأصل لو تملكون فلمّا حذف الفعل انفصل الضمير»[4].

وقد أكثر الشنقيطي من ذكر هذا النوع في تفسيره[5].

٤- حذف الفاعل:

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦]، فقال الشنقيطي مُبيناً الفاعل المحذوف في الآية الكريمة: «قيلَ: هنا مبني للمفعول حُذف فاعله، واختلف العلماء في فاعله المحذوف، فقال بعض العلماء: قال بعضهم لبعض في سرهم وباطن أمرهم: «اقعدوا مع القاعدين» واستأذنُوه لتقعدوا.

وقال بعضهم: أذن لهم النبي ﷺ فقال: «اقعدوا مع القاعدين» وعلى هذا القول فـ(اقعدوا) هو الإذن. وبعضهم يقول: قوله: «مع القاعدين» أذن لهم إذناً صاحبه لا يرضى عنهم. والمراد بالقاعدين: الذين ليس من شأنهم الحضور، كالصبيان والزَّمْنَى والنساء، ونحو ذلك ممن ليس من شأنه الخروج للقتال.

---

(١) أضواء البيان، ص٦٥٦.

(٢) أنوار التنزيل: ٤٦٩/٣.

(٣) مدارك التنزيل: ٢٢٠/٢.

(٤) روح المعاني: ١٨٠/١٥.

(٥) ينظر: ٥٦٣ و٧٢٦ و٧٨٠ و١٥٣٦، وينظر: العذب النمير: ١١٨٩/٢.

وقال بعض العلماء: هو كوني قدري، الله يقول للشيء: «كن فيكون»، فقال: «اقعدوا»، فكان قعودهم، واختار هذا بعض العلماء»[1].

ومن أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: من الآية ٣٤]، قال الشنقيطي: «فاعل «جاء» هنا محذوف دلَّ عليه المقام»[2].

قال الرازي: «وفاعل (جاء) مضمر أضمر لدلالة المذكور، وتقديره: ولقد جاءك من نبأ المرسلين»[3]، وذهب إلى ذلك أكثر المفسرين[4].

٥- حذف المفعول:

تناول الشنقيطي هذا النّوع من الحذف في قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: من الآية ٦٤]، قال الشنقيطي: «وقوله: «واستفزز» أي: استحق من استطعت أنْ تستفزه منهم، فالمفعول محذوف لدلالة المقام عليه»[5].

ويحذف المفعول لقصد التعميم، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ

---

(١) العذب النمير: ٢٣٤٧/٥، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٥٦/٨، والبحر المحيط: ٤٩/٥.

(٢) العذب النمير: ١٦٧/١.

(٣) التفسير الكبير: ١٧٠/١٢.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤١٧/٦، والبحر المحيط: ١١٤/٤، واللباب في علوم الكتاب: ١٦٦/٨، والمحرر الوجيز: ٣٣٨/٢.

(٥) أضواء البيان، ص٦٤٧.

﴿وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، قال الشنقيطي: «ذكر -جلّ وعلا- في هذه الآية الكريمة أنه يأمر خلقه بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وأنه ينهاهم عن الفحشاء والمنكر والبغي، لأجل أن يتعظوا بأوامره ونواهيه، فيمتثلوا أمره، ويجتنبوا نهيه، وحذف مفعول «يأمر، وينهى» لقصد التعميم»[(١)].

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنعام: من الآية ٥٤].

قال الشنقيطي: «وحذف مفعول (أصلح) لقصد التعميم، أي: وأصلح جميع أقواله وأفعاله، ونياته، وقصده، فلم يفعل إلا طيباً»[(٢)] ويحذف المفعول أيضاً لقصد مراعاة الفواصل، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ [طه: ٧٩]، قال الشنقيطي: «يعني أنّ فرعون أضل قومه عن طريق الحق وما هداهم إليها... والنكتة البلاغية في حذف المفعول في قوله: «وما هدى» و لم يقل وما هداهم، هي مراعاة فواصل الآيات»[(٣)].

٦- حذف المفعولين معاً:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢]، قال الشنقيطي: «ومثال حذف المفعولين معاً مع قيام الدليل عليهما: «أين شركائيَ الذين كنتم تزعمون»، أي: تزعمونهم شركائي»[(٤)].

---

(١) المصدر نفسه، ص٥٤٣.

(٢) العذب النمير: ٢٩٧/١.

(٣) أضواء البيان، ص٨٧٠.

(٤) المصدر نفسه، ص١٣٨٢.

قال أبو حيان: «وحذف مفعولا «يزعمون» اختصاراً؛ إذ دلَّ ما قبله على حذفهما والتقدير: تزعمونهم شركاء»[1]، وإلى ذلك ذهب أكثر المفسرين[2].

واستشهد الشنقيطي على هذا النّوع من الحذف بشاهد شعري وهو قول الكميت[3]:

بأيّ كتابٍ أم بأيّة سنَّةٍ ترى حبّهم عاراً عليَّ وتحسبُ

أي: وتحسب حبهم عاراً علي[4].

٧- حذف أحد المفعولين:

ومن حذف المفعول الأوّل ما جاء في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرحمن: ٢]، قال الشنقيطي: «حذف فيه أحد المفعولين، والتحقيق أنّ المحذوف هو الأوّل لا الثاني، كما ظنه الفخر الرازي[5]، وقد ردّه عليه أبو حيان[6]، والصّواب هو ما ذكره، من أنّ المحذوف الأول، وتقديره: علم النّبي القرآن وقيل جبريل، وقيل الإنسان»[7].

ومن حذف المفعول الثّاني مما جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ

---

(١) البحر المحيط: ٤/٩٨.

(٢) ينظر: فتح القدير: ٤/١٧٦، وأنوار التنزيل: ٤/٣٠٠، والكشاف: ٣/٤٣٠، ومدارك التنزيل: ١/٣٢١.

(٣) ديوانه : ١٧٢ .

(٤) أضواء البيان، ص١٣٨٣.

(٥) ينظر: التفسير الكبير: ٢٩/٧٦.

(٦) ينظر: البحر المحيط: ٨/١٨٧.

(٧) أضواء البيان، ص١٨١٥.

﴿بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾ [الأعراف: من الآية ١٨٤]، فقد ذكر الشنقيطي: «أنّ جميع آيات اتخاذهم العجل إلهاً حذف فيها المفعول الثاني في جميع القرآن كما في قوله هنا، أي: اتخذوه إلهاً، وأن النكتة في حذفه دائماً التنبيه: على إنّه لا ينبغي التلفظ بأنّ عجلاً مصطنعاً من جماد إله، وقد أشار تعالى إلى هذا المفعول المحذوف دائماً في «طه» بقوله: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [طه: ٨٨].

٨- حذف الصفة:

وقد وجدنا أنّ الشنقيطي قد فصّل في هذا النوع من الحذف، قائلاً: «وقد تقرّر في علم العربية: أنّ حذف الصفة إذا دلَّ المقام عليه موجود في القرآن، وفي كلام العرب»(١).

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]، قال الشنقيطي: «أي: كل سفينة صالحة، بدليل أنّ خرق الخضر للسفينة التي ركب فيها هو وموسى يريد به سلامتها من أخذ الملك لها، لأنه لا يأخذ كلّ سفينة صالحة، بدليل أنّ خرق الخضر للسفينة التي ركب فيها هو وموسى يريد به سلامتها من أخذ الملك لها، لأنه لا يأخذ المعيبة التي فيها الخرق وإنما يأخذ الصحيحة»(٢).

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ [البقرة:

---

(١) أضواء البيان، ص١٧٨٤، والعذب النمير: ١٢٨/١، وينظر: التوضيح والتكميل: ١٥٣/٢.

(٢) أضواء البيان، ص٧٣٨، وص٦٤٤.

من الآية ٧١]، قال الشنقيطي: «ويتعين هنا حذف الصفة، لأنّه لو لم تقدر الصفة لكانوا كفاراً، لأنهم لو قالوا: لم يأتِ بالحق إلا في هذا الوقت، فقبل هذا الوقت لم يكن آتياً بالحقّ!! كانوا مكذبين لنبي كريم، ومن كذب نبياً كريماً فهو كافر، ولذلك يتعين تقدير النعت هنا، والمعنى: جئت بالحق الذي لا يترك في هذه البقرة لبساً لإيضاحها بصفاتها الكاشفة تماماً»[(١)].

وذكر الشنقيطي هذا النوع في مواضع متعددة من تفسيره[(٢)].

ومن شواهد حذف الصفة في كلام العرب قول الشاعر، وهو المرقش الأكبر:

وَرُبَّ أسـيلَةِ الخَـدَّينِ بِكْـرٍ مُهَفْهَفَةٍ لها فَـرْعٌ وجِيـدُ

أي: لها فرع فاحم، وجيّد طويل[(٣)].

ومنه قول عبيد بن الأبرص[(٤)]:

مَنْ قَولُه قَـولٌ وَمَـنْ فِعْلُـهُ فِعْـلٌ ومَـنْ نائِلُـه نَائـلُ

أي: قوله قول فصل، وفعله فعل جميل، ونائله نائل جزيل[(٥)].

٩- حذف الموصوف:

وضع العلماء شروطاً في جواز حذف الموصوف، فقد ذكر الزركشي

---

(١) العذب النمير: ١٢٨/١.

(٢) ينظر: أضواء البيان، ص٦٤٨، و١٧٨٤.

(٣) أضواء البيان، ص٦٤٤، والعذب النمير: ١٢٨/١، وينظر: ضياء السالك: ١٨/٣، والمعجم المفصِّل في شواهد النحو الشعرية: ٢٢٧/١.

(٤) ديوان عبيد بن الأبرص، ص١٠٠.

(٥) أضواء البيان، ص٦٤٤.

أنّه يشترك فيه أمران:

أحدهما: كون الصفة خاصة بالموصوف، فمتى كانت الصّفة عامة امتنع حذف الموصوف.

وثانيهما: أن يعتمد على مجرد الصفة من حيث تعلقها بغرض السياق[1].

وفي ضوء هذا يكون لحذف الموصوف ما يسوغه وهو القرينة السياقية على وفق ما قاله العلماء.

وقد تناول الشّنقيطي هذا الأسلوب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، قال الشنقيطي: «إنَّ قوله: «قرِيبٌ» صفة موصوف محذوف، أي: شيء قريب من المحسنين»[2]. وقال النسفي: «ذكر (قريب) على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحم، لأنه صفة موصوف محذوف، أي: شيء قريب»[3]، وهذا ما ذكره أغلب المفسرين[4].

١٠- حذف المضاف:

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة: من الآية ١٨٩]، قال الشنقيطي: «والكلام في الآية على حذف مضاف، أي: ولكن البر من اتقى، وقيل: ولكن البر بر من اتقى»[5].

---

(١) ينظر: البرهان، ص٧١٨-٧١٩، وبدائع الفوائد: ٢٧/٣.

(٢) أضواء البيان، ص٣٣١.

(٣) مدارك التنزيل: ٣٧٣/١.

(٤) ينظر: الكشاف: ١٠٥/٢، وأنوار التنزيل: ٢٨/٣.

(٥) أضواء البيان، ص٧٣.

وقال الزمخشري: «ولكن البر من اتقى» على تأويل حذف المضاف، أي بر من آمن»[1].

ويستشهد الشنقيطي على هذا الأسلوب بشاهد شعري وهو قول الخنساء[2]:

لا تسأم الدّهر مِنهُ كلّما ذكرت فإنَّما هـــي إقبـــال وإدبـــار

أي: ذات إقبال[3].

وقد أكثر الشنقيطي من ذكر هذا النوع في تفسيره[4].

١١- حذف المصدر:

يحذف المصدر إذا دَلَّ عليه الفعل، بصفة أنَّ الفعل حدث مقرون بزمن، وهو ما يخلو منه المصدر[5]. وقد تناول الشنقيطي هذا النوع من أسلوب الحذف في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠٠]، قال الشنقيطي: «وقوله: «كذلك سلكناه» نعت لمصدر محذوف، أي: كذلك السلك أي الإدخال. سلكناه، أي: أدخلناه في قلوب المجرمين»[6].

١٢- حذف المنادى:

وقد ذكر الشنقيطي هذا النوع من أسلوب الحذف وبين أغراضه

---

(١) الكشاف: ٢٤٣/١.

(٢) شرح ديوان الخنساء، ص٢٢٩، وأصل البيت:

تَرْتَعُ مَا حَتَّى إذا ادَّكَرَتْ فإنَّمَا هِيَ إقبَالٌ وإدْبَـــارُ

(٣) أضواء البيان، ص٧٣.

(٤) ينظر: ص٢٠٤، ٦٦٧، ٧٩٣، ١٣٩٠، ١٧٠٢.

(٥) ينظر: الجواهر: ٤٨١/٢، وأسلوب الحذف في القرآن الكريم، ص١١٣.

(٦) أضواء البيان، ص١٤٣٣.

البلاغية التي يخرج إليها ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٥]، قال الشنقيطي: «وقرأ هذا الحرف الكسائي وحده من السبعة: «ألا يسجدوا» بتخفيف (اللام) من قوله: (ألاّ)، وعلى قراءة الكسائي هذه، فلفظة ألا حرف استفتاح، وتنبيه ويا حرف نداء، والمنادى محذوف تقديره، ألا يا هؤلاء اسجدوا»، وقرأ هذا الحرف عامة القراء السبعة غير الكسائي: «ألاّ يسجدوا لله» بتشديد (اللام) في لفظة (ألا)»[١]. ومن قرأ بالتشديد كان المعنى فقدهم عن السبيل لئلاّ يسجدوا ثم حذفت، قاله الزجاج[٢]. وقال الفراء: «زين لهم الشيطان أعمالهم لئلاّ يسجدوا ثم حذفت اللام ومن قرأ بالتخفيف كان المعنى: ألا يا قوم ويا مسلمون اسجدوا لله الذي خلق السّماوات والأرض خلافاً عليهم وحمداً لله لمكان ما هداكم لتوحيده[٣].

ويرى الزمخشري أنّ: من قرأ بالتشديد أراد: فَصدَّهم عن السبيل لئلاَّ يسجدوا فحذف الجار (من أن) ويجوز أن تكون (لا) مزيدة ويكون المعنى: فهم لا يهتدون إلى أنْ يسجدوا ومن قرأ بالتخفيف فهو ألا يسجدوا...»[٤]، وتبعه النسفي في ذلك[٥].

واستشهد الشنقيطي أيضاً على حذف المنادى من الشعر العربي، «ومنه

---

(١) ينظر: أضواء البيان، ص١٤٣٨-١٤٣٩.

(٢) ينظر: معاني القرآن: ١٨٥/٢.

(٣) ينظر: المصدر السابق: ٢٩٠/٢.

(٤) الكشاف: ٣٦٦/٣.

(٥) ينظر: مدارك التنزيل: ٢١٠/٢.

قول الشماخ[1]:

ألاَّ يا أصبحاني قبل غارة سنجالي وقبل منايا قد حضرن وآجالي

يعني ألا يا صحبي أصبحاني»[2].

١٣- حذف جواب الشرط:

ومنه قوله تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٩]، قال الشنقيطي: «جواب (لو) في هذه الآية محذوف... ومعنى الآية الكريمة لو يعلم الكفار الوقت الذي يسألون عنه بقولهم: متى هذا الوعد؟ وهو وقت صعب شديد، تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام. فلا يقدرون على منعها ودفعها عن أنفسهم، ولا يجدون ناصراً ينصرهم، لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال، ولكنَّ جهلهم بذلك هو الذي هونه عليهم»[3].

وقال الشوكاني: «وجملة «لو يعلم الذين كفروا» وما بعدها مقررة لما قبلها، أي: عرفوا ذلك الوقت، وجواب (لو) محذوف، والتقدير: لو علموا الوقت، وقال الزجّاج في تقدير الجواب لعلموا صدق الوعد»[4]. وهذا ما ذهب إليه أكثر المفسرين[5].

---

(١) ديوان الشماخ، ص١١٧، والأصل:

ألا فأصبْحَاني قَبْلَ غارةِ سِنْجالِ وَقَبْلَ مَنايا باكِرَاتِ وَآجـــالِ.

(٢) أضواء البيان، ص١٤٤٠.

(٣) أضواء البيان، ص٩١١.

(٤) فتح القدير: ٤٠٨/٣.

(٥) ينظر: أنوار التنزيل: ١٨٨/٤، ومدارك التنزيل: ٣٢٥/٢، والبحر المحيط: ٢٩١/٦، والبحر المديد: ٥١٤/٤.

١٤- حذف الحروف:

وفي حذفها دلالات بيانيّة تنطوي على مقدار غير يسير من الأسرار البلاغيّة، وقد تناول الشنقيطي هذا النوع من الحذف ومنه:

- **حذف الهمزة:** وتحذف الهمزة إذا أمكن تعريضها نطقاً استدلالاً بالسياق وإذا دلّت عليها القرائن اللّفظية أو المعنوية، قال الشنقيطي: «وقد تقرّر في علم النحو أنّ حذف همزة الاستفهام إذا دلّ المقام عليها جائز»[1]. وقد استدل الشنقيطي عليه بأمثلة قرآنية وشعرية.

ومن ذلك مما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ﴾ [الأنعام: من الآية ٧٦]، قال الشنقيطي: «قوله: «هذا ربي» في المواضع الثلاثة، محتمل؛ لأنّه كان يظن ذلك، كما روي عن ابن عباس وغيره، ومحتمل؛ لأنّه جازم بعدم ربوبية غير الله، ومراده: هذا ربي في زعمكم الباطل، أو أنّه حذف أداة الاستفهام للإنكار. والقرآن يُبيّن بطلان الأول، وصحة الثاني. أمّا بطلان الأوّل، فالله تعالى نفى كون الشرك الماضي عن إبراهيم في قوله: «وما كان من المشركين» في عدة آيات، ونفي الكون الماضي يستغرق جميع الزمن الماضي، فثبت أنه لم يتقدم عليه شرك يوماً ما.

وأمّا كونه جازماً موقناً بعدم ربوبية غير الله، فقد دلَّ عليه ترتيب قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ﴾ إلى آخره «بالفاء» على قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥] فدل على إنّه قال ذلك موقناً مناظراً ومحاجاً لهم،

(١) أضواء البيان، ص٩٠٨، ودفع إيهام الاضطراب، ص٢٤١.

كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ ﴾ [الأنعام: من الآية ٨٠]. فالكلام على حذف همزة الاستفهام أي: أهذا ربّي؟ وعلى هذا القول فقرينة الاستفهام المحذوف علو مقام إبراهيم عن ظن ربوبية غير الله وشهادة القرآن له بالبراءة من ذلك»[١].

ومنه قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾ [الكهف: ٣٨]، قال الشنقيطي: «وقوله في هذه الآية الكريمة: «لكنَّا» أصله «لكن أنا» فحذفت همزة «أنا» وأدغمت نون «لكن» في نون «أنا» بعد حذف الهمزة. وقال بعضهم: نقلت حركة الهمزة إلى نون «لكن» فسقطت الهمزة بنقل حركتها، ثم أدغمت النون»[٢].

قال الرازي: «قال أهل اللّغة «لكنا» أصله «لكن أنا» فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون «لكن» فاجتمعت النونان فأدغمت نون «لكن» في النون التي بعدها»[٣].

وقال الآلوسي: «(لكنَّا) أصله «لكن أنا»، وقد قرأ به أُبَيٌّ، والحسن، وحكى ابن عطية ذلك عن ابن مسعود، فنقل حركة همزة «أنا» إلى نون «لكن» فحذفت الهمزة ثمَّ حذفت الحركةُ ثمَّ أدغمت النون في النون»[٤].

وهذا ما ذهب إليه أكثر العلماء[٥].

---

(١) أضواء البيان، ص٢٨٢، وينظر: دفع إيهام الاضطراب، ص٢٤٠-٢٤١.

(٢) أضواء البيان، ص٧٠٤.

(٣) التفسير الكبير: ١٠٧/٢١.

(٤) روح المعاني: ٢٧٧/١٥.

(٥) ينظر: جامع البيان: ٢٣/١٨، وتفسير القرآن العظيم: ١٢٣/١، وأنوار التنزيل: ٤٩٧/٣، والبحر المحيط: ١١٧/٦، ومعاني القرآن: ٥٢/١.

وذكر الشنقيطي هذا النوع من الحذف في مواضع متعددة من تفسيره[1].

وقد ذكر الشنقيطي كما سبق أن ذكرناه أن حذف همزة الاستفهام جائز إذا دلّ المقام عليه، وأضاف على ذلك أنَّ هذا الحذف قياسي عن الأخفش قائلاً ما نصه: «... وهو قياس عند الأخفش مع «أم» ودونها ذكر الجواب أم لا: فمن أمثلته دون «أم» ودون الجواب قول الكميت:

طربتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطْرَبُ ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب

يعني: أو ذو الشيب يلعب؟»[2].

وقد استشهد الشنقيطي بأقوال متعددة من كلام العرب لتوضيح هذا الحذف[3].

ومن أساليب الحذف التي ذكرها الشنقيطي:

– **حذف حرف الجر**: ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: من الآية: ١٢٧]، قال الشنقيطي: «فحرف الجرّ المحذوف في –الآية الكريمة– هو عن، أي: وترغبون عن نكاحهن...، وقال بعض العلماء: الحرف المحذوف هو (في)، أي: وترغبون في نكاحهن...»[4]. وقد ذكر النسفي والزمخشري القولان[5].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ

(١) ينظر: أضواء البيان، ص٩٠٨ وص١٢٧٧.

(٢) أضواء البيان، ص٩٠٨، ودفع إيهام الاضطراب، ص٢٤١ وديوانه : ١٩٨ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) أضواء البيان، ص١٩٥.

(٥) ينظر: مدارك التنزيل: ٢٥١/١، والكشاف: ٦٠٤/١.

﴿وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النور: من الآية ٢٢]، قال الشنقيطي: «وقوله: أن يؤتوا: أي لا يحلفوا على أن يؤتوا، أو لا يحلفوا ألاّ يؤتوا وحذف حرف الجرّ قبل المصدر المنسبك من أن وأن وصلتهما مطرد»[١].

وقال الشوكاني: «أي: على أنْ لا يؤتوا. قال الزجاج: أنْ لا يؤتوا فحذف (لا)»[٢].

– **حذف الفاء**: ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، قال الشنقيطي: «وحذف الفاء من قوله: «إنكم لمشركون» يدل على قسم محذوف على حد قوله في الخلاصة:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم ... جواب ما أخرت فهو ملتـــزم

إذ لو كانت الجملة جواباً للشرط لاقترنت بالفاء على حد قوله في الخلاصة أيضاً:

وأقرن بفا حتماً جواباً لو جعل ... شرطاً لأن أو غيرها لم ينجعل»[٣]

– **حذف الياء**: ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى﴾ [طه: من الآية: ٩٤]، قال الشنقيطي: «إنَّما قال هارون لأخيه: «يبنؤمَّ» ؛ لأنَّ قرابة الأم أشدّ عطفاً وحناناً من قرابة الأب. وأصله يا بنؤمي بالإضافة إلى ياء المتكلم، ويطرد حذف الياء وإبدالها ألفاً وحذف الألف المبدلة منها كما هنا»[٤].

---

(١) أضواء البيان، ص١٣٤٧.

(٢) فتح القدير: ١٨/٤.

(٣) أضواء البيان، ص ٥٨٠ وينظر : الخلاصة : ٦٩ .

(٤) أضواء البيان، ص٨٨٠.

المبحث الخامس

الفصل والوصل

الفصل في اللّغة القطع، والوصل خلاف الفصل ويعني فصل الشّيء بالشيء[1]. والوصل في البلاغة عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركهُ[2]، وإذا ما أردنا أن نربط التعريف اللّغوي بالتعريف البلاغي نكتشف أنَّ الارتباط وثيق بين التعريفين، فالفصل قطع الجمل والوصل ربط الجمل.

ولكنَّ علينا أن نعرف مواضع الفصل والوصل، وقد عَدَّ التفتازاني الابتداء بالفصل الأصل؛ لأنَّ الوصل عارض على الفصل قال معلقاً على ابتداء القزويني بالفصل من دون الوصل: «بدأ بذكر الفصل لأنَّه الأصل، والوصل طارئ أي: عارض عليه حاصل بزيادة حرف، لكنْ لّما كان الوصل بمنزلة الملكة والفصل بمنزلة عدمها والأعدام إنَّما تعرف بملكاتها بدأ في التعريف بذكر الوصل»[3]. ويقصد بمنزلة الملكة أي الأمر الوجودي؛ لأنَّ حرف العطف بوجوده يكون الكلام موصولاً وبعدمه يكون الكلام مقطوعاً.

والفصل والوصل من المباحث البلاغية التي جعلها العلماء مقياساً للبلاغة فقد نقل الجاحظ أنَّه قيل للفارس ما البلاغة؟ فقال: هي معرفة الفصل والوصل[4]. ومن أبرز من تحدث عن مواضع الفصل والوصل عبد القاهر الجرجاني فقد بحث في تفصيلات الفصل والوصل بقوله: «إنّ الجمل على ثلاثة

---

(١) لسان العرب، مادة (فصل).

(٢) ينظر: الإيضاح: ٢٤٦/١، والتلخيص، ص١٧٥، وتهذيب السعد: ٥٨/٣.

(٣) تهذيب السعد: ٥٨/٣.

(٤) ينظر: البيان والتبيين: ٨٨/١.

أضرب: جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكد، فلا يكون فيها العطف فيها البتة لشبه العطف فيها -ولو عطفت- بعطف الشيء على نفسه. وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون كلا الاسمين فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه فيكون حقّها العطف، وجملة ليست في الشّيء من الحالين... وحق هذا ترك العطف البتة. فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية، أو الانفصال إلى الغاية والعطف لما هو واسطة بين الأمرين وكان له حال بين الحالين فأعرفه»[1]. واتفق البلاغيون فيما بعد على أنّ الفصل في خمسة مواضع وأنَّ الوصل يجب في ثلاثة مواضع[2].

❑ مواضع الفصل:

الأول: وضابطه أن يكون بين الجملتين كمال التآلف وتمام الاتحاد، إذ تنزل الثانية من الأولى المنزلة نفسها وهو (كمال الاتصال) وذلك أنْ تكون الجملة الثانية تأكيداً للأولى، والمقتضى للتأكيد رفع توهم التجوّز والغلط، وهو قسمان:

١- أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد المعنوي من متبوعه في إفادة التقرير مع الاختلاف في المعنى، كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ١-٢]، قال الشنقيطي: «وقوله في هذه الآية الكريمة: «قيماً» أي: مستقيماً لا ميل فيه ولا زيغ...، وعليه فهو تأكيد في المعنى لقوله: «ولم يجعل له عوجاً»،

(١) دلائل الإعجاز، ص١٨٧.

(٢) ينظر: الإيضاح: ٢٤٦/١، والتلخيص، ص١٤٧.

لأنّه قد يكون الشيء مستقيماً في الظاهر وهو لا يخلو من اعوجاج في حقيقة الأمر، ولذا جمع تعالى بين نفي العوج وإثبات الاستقامة»[1].

٢- أنّ تنزيل الثانية من الأولى منزلة التأكيد اللفظي من متبوعه في اتحاد المعنى، كقوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥].

قال الشنقيطي: «أكد -جل وعلا- في هذه الآية الكريمة، أنه هو الغفور الرحيم، وبيّن فيها أنّه هو وحده المختص بذلك... ووجه دلالة تلك الآية على إنّ وحده هو الذي يغفر الذنوب، هو أنّ ضمير الفصل بين المسند والمسند إليه في قوله: «ألا إنَّ اللهَ هوَ الغفور الرحيم» يدلّ على ذلك...، وأما الأمر الثاني، هو توكيده تعالى أنّه هو الغفور الرحيم، فإنّه أكّد ذلك هنا بحرف الاستفتاح الذي هو (ألا)، وحرف التوكيد الذي هو (إن)»[2].

ومنه أيضاً قوله ﷺ: «إنَّ بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»[3]، قال الشنقيطي: «وهو واضح في أنّ تارك الصلاة كافر، لأنّ عطف الشرك على الكفر فيه تأكيد قوي لكونه كافراً»[4].

ومن النّوع الثاني لكمال الاتصال أنْ تكون الثانية بدلاً من الأولى وهو:

١- ضربان له: أنْ تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل البعض من متبوعه

---

(١) أضواء البيان، ص٦٥٩-٦٦٠.

(٢) أضواء البيان، ص١٦٠١.

(٣) المعجم الأوسط: ٥/٢٧١.

(٤) أضواء البيان، ص٧٩٤.

كقوله تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣]، قال الشنقيطي: «وجملة «هل هذا إلاّ بشر مثلكم». قيل بدلٌ من «النجوى»، أي: أسرّوا النجوى التي هي هذا الحديث الخفي الذي هو قولهم: هل هذا إلاَّ بشر مثلكم. وصدر به الزمخشري، وقيل: مفعول به للنجوى، لأنها بمعنى القول الخفي، أي: قالوا في خفية: «هل هذا إلا بشرٌ مثلكم». وقيل: معمول قول محذوف، أي: قالوا هل هذا إلا بشر مثلكم، وهو أظهرها، لإطراد حذف القول مع بقاء مقوله، وفي قوله: «الذين ظلموا» أوجه كثيرة من الإعراب معروفة، وأظهرها عندي أنها بدل من الواو في قوله: «وأسروا» بدل بعض من كل»[(١)].

قال الرازي: «أبدل الذين ظلموا من أسروا إشعاراً بأنهم هم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسروا به»[(٢)].

٢- أنْ تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل الاشتمال، كقوله تعالى: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ﴾ [الزخرف: ٣٤]، قال الشنقيطي: «وقوله «لبيوتهم» بدل اشتمال مع إعادة العامل من قوله: «لمن يكفر» [الزخرف: من الآية: ٣٣][(٣)] من قوله: «لمن يكفر»[(٤)].

---

(١) أضواء البيان، ص٩٠٢، وينظر: الكشاف: ١٢٣/٣.

(٢) التفسير الكبير: ١٢٢/٢٢، وينظر: الجواهر الحسان: ٤٩٤/٢، والبحر المديد: ٤٨٠/٤.

(٣) أضواء البيان، ص١٦٣٧-١٦٣٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٨٧/١٦.

٣- قد يكون في الجملة خفاء وإبهام فتأتي بعدها جملة أخرى تكشف هذا الخفاء وتزيل ذلك الإبهام، والمقام يقتضي ذلك، وذلك هو عطف البيان، كقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩]، فمن خلال إعراب الشنقيطي للآية الكريمة قال: «وقوله: «وتلك» مبتدأ و«القرى» صفة له، أو عطف بيان...»[١].

الثّاني: وهو أنْ يكون بين الجملتين (كمال الانقطاع) أي تباين تام وليس في الفصل إيهام خلاف المقصود، وذلك أنْ تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً لفظاً ومعنى فمن وجوب الفصل لاختلاف الخبر والإنشاء قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١]، فإنَّ جملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ خبرية، وجملة (اتقوا) إنشائية (أمر) لذلك لم تعطف الثانية على الأولى، قال الشنقيطي: «وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾ أي: بامتثال أمره واجتناب نهيه، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فهو سميع لكلِّ ما تقولون من التقديم بين يديه وغيره، عليم بكل ما تفعلون من التقديم بين يديه وغيره»[٢].

الثالث: وضابطه أنْ تكون الجملة الأولى مورد السّؤال الذي قد تضمنته والمقدر فيها، فجاءت الثانية جواباً لها أو جواباً لسؤال قُدِّر في الجملة الأولى وإذ ذاك يجب فصل الثانية عن الأولى لوقوعها جواباً عن السؤال المقدر فيها، ويسمى هذا (شبه كمال الاتصال) أو (الاستئناف) كقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، قال

---

(١) أضواء البيان، ص٧٢٦.

(٢) أضواء البيان، ص١٧٧٠.

الشنقيطي: «أما قوله: «وإن منكم إلا واردها» فهو محتمل للعطف أيضاً، ومحتمل للاستئناف»[1].

وللوصل مواضع ثلاثة:

الأول: وضابطه أنْ تتفق الجملتان المعطوف بينها خبراً وإنشاءً، أي: كانتا خبريتين متفقتين لفظاً ومعنى، ومنه قوله تعالى: ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴾ [الروم: ١٩]، ففي هذا النظم القرآني، وجدنا كل جملتين موصولتين قد اتحدتا في الخبرية لفظاً ومعنى، قال الشنقيطي: «فدل بالنظير على النظير، وقرب أحدهما من الآخر جدًّا بلفظ الإخراج»[2].

أو كانتا إنشائيتين متفقتا في اللّفظ والمعنى، ومنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ [البقرة: من الآية ١٩٩]، عطف جملة «واستغفروا» على جملة «أفيضوا» لأنّهما إنشائيتان، قال الشنقيطي: «فلفظة «ثم» للترتيب الذكري بمعنى عطف جملة على جملته»[3].

الثّاني: وضابطه أنْ يكون للجملة الأولى محل من الإعراب وقصد إشراك الجملة الثانية لها في الحكم الإعرابي، وهذا كعطف المفرد على المفرد؛ لأنَّ الجملة لا يكون لها محل من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد، وينبغي هنا أنْ تكون مناسبة بين الجملتين[4]. كقوله تعالى: ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ

---

(١) المصدر نفسه، ص ٨١٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٣١.

(٣) أضواء البيان، ص٨١.

(٤) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٥٥٣/٣، والميسر في البلاغة العربية، ص١٨٢.

شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد: ٤٣]، قال الشنقيطي: «الظاهر أنَّ قوله: «ومن عنده علم الكتاب» عطف على لفظ الجلالة، وأن المراد به أهل العلم بالتوراة والإنجيل»[١].

الثالث: وضابطه أنْ تكون الجملتان مختلفتان خبراً وإنشاءً وأوهم الفصل خلاف المقصود، كقولك لمن سألك عن صحة أبيك المريض: هل تحسنت صحة أبيك؟ فتقول له (لا وعافاك الله) فإنَّ حرف العطف في جوابك لابد منه؛ لأنَّ حذفه (لا عافاك الله)، يوهم بخلاف المراد، أنت تريد أنْ تدعو له وعبارتك توهم بأنَّها دعاء عليه، والجملتان مختلفتان فالأولى التي تمثلها (لاّ) معناها (لم تتحسن صحة أبي) فهي خبرية، والثانية (عافاك الله) دعائية إنشائية، وكان الفصل بينهما أولى[٢].

(١) أضواء البيان، ص٤٤٢.

(٢) البلاغة من منابعها، ص١٤٧.

المبحث السادس

القصر والحصر

القصر لغةً: الحبس والالتزام، نقول: قَصَرتَ نفسي على الشّيء إذا حَبستها[1]. وقَصَر عن الشيء عجز عَنْهُ و لم يَبلغه وبَابهُ دَخَلَ[2].

واصطلاحاً: هو تخصيص أمرٍ بآخر بطريق مخصوصة[3].

والقصر توكيد وأداته التي يقوم عليها هي النّفي والاستثناء. ومن المعلوم أنَّ الغرض البلاغي الذي يؤدّيه القصر ليس جمالياً، فالقصر من مباحث علم المعاني. والغرض الذي يؤدّيه أسلوب القصر غرض جوهري يتعلق بمعاني الجمل وقد يختلف المعنى كلياً لتقديم كلمة أو تأخيرها بحسب السياق القرآني.

وأسلوب القصر يتكون من ركنين: المقصور والمقصور عليه، أي أحد الشيئين موصوف والآخر صفة[4]. وطرق القصر كثيرة أشهرها أربعة:

١- النفي والاستثناء وهي: (لا وإلاّ، وما وإلاّ، وإن وإلاّ، وهل) وهنا يكون المقصور عليه ما بعد أداة الاستثناء.

٢- (إنَّما) ويكون المقصور عليه مؤخراً وجوباً.

٣- العطف بـــ(لا، وبل، ولكن) فإن كان العطف بـــ(لا) كان المقصور عليه مقابلاً لما بعدها، وإن كان العطف بـــ(بل ولكن) كان المقصور عليه ما بعدهما.

---

(١) لسان العرب: مادة (قصر)، ينظر: تاج العروس: مادة (قصر).

(٢) المصدر نفسه: مادة (قصر).

(٣) ينظر: الإتقان: ١٠٦/٢، والميسر في البلاغة العربية، ص٢١٩.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٦٦/٣.

٤- تقديم ما حقهُ التأخير وهنا يكون المقصور عليه هو المقدّم[١].

وللقصر طرفان: المقصور، والمقصور عليه، والأخير هو الشيء المخصص به، ويقسّم البلاغيون القصر على ثلاثة أقسام.

أ – القصر باعتبار طرفيه:

١- قصر الموصوف على الصفة: وهو من القصر الإضافي، إذ الموصوف على هذه الصّفة لا يتجاوزها إلى غيرها. نحو: إنَّما العرب كرماء، إذ يفيد تخصيص العرب للكرم، بمعنى أنّ العرب مقصورون على الكرم لا يفارقونه إلى غيره من الصفات فالعرب مقصورون والكرم مقصور عليهم وهما (طرفا القصر)، ولّما كان العرب موصوفين، والكرم صفة لهم. كان القصر هنا قصر موصوف على صفة، بمعنى أنّ الموصوف لا يفارق صفة الكرم إلى أي صفة أخرى.

ومما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ [فاطر: من الآية ١٨]، فقال الشنقيطي: «ذكر -جل وعلا- في هذه الآية الكريمة: أن إنذاره ﷺ محصور في الذين يخشون ربهم بالغيب، وأقاموا الصلاة، وهذا الحصر الإضافي، لأنَّهم هم المنتفعون بالإنذار، وغير المنتفع بالإنذار، كأنَّه والذي لم ينذر سواء بجامع عدم النفع في كل منهما»[٢].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [فصلت: ٧]، قال الشنقيطي: «والقصر في قوله: «إنَّما أنا بشرٌ»

---

(١) ينظر: مفتاح العلوم، ص١٣٨.

(٢) أضواء البيان، ص١٥٢٤.

إضافي، أي لا أقول لكم إني ملك، وإنّما أنا رجل من البشر. وقوله: «مثلكم» في الصفات البشرية، ولكن الله فضلني بما أوحي إليَّ من توحيده»[1].

٢- **قصر الصفة على الموصوف**: وهو أنّ الصّفة مقصورة على الموصوف وحده، لا تتجاوز إلى غيره، ادّعاءً بأنّه ليس لهذه الصّفة موصوف آخر غير المنصوص عليه كما في قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [التغابن: من الآية ١٨]، لأنّ مجيء الآية بالجملة الاسمية يشعر بالحصر، ومجيئه هنا أيضاً يشعر بأنّ الرقابة على الأسرة بين الطرفين إنّما هي لله تعالى، لأنّهما يكونان في عزلة عن الناس ولا يطلع على ما بينهما إلا الله، عالم الغيب والشهادة»[2].

ب- قصر حقيقي وغير حقيقي:

١- **القصر الحقيقي**: وهو أن يختصَّ المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع بألا يتعدّاه إلى غيره أصلاً[3]، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨]، قال الشنقيطي: «عبَّر في هذه الآية الكريمة بلفظ: إنَّما وهي تدل على الحصر عند الجمهور، وعليه فهي تدل على حصر الوحي في توحيد الإلوهية.

وقد جاءت آيات أخر تدل على إنّه أوحي إليه غير ذلك كقوله: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: من الآية ١]، وقوله: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ

---

(١) المصدر نفسه، ص١٥٨٥.

(٢) أضواء البيان، ص١٩٥٧ من التتمة.

(٣) ينظر: الإتقان: ١٤٩/٣، والميسر في البلاغة العربية: ٢٢٥.

ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ﴾ [هود: ٤٩]، وقوله: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [يوسف: من الآية ٣].

والجواب: أنَّ حصر الوحي في توحيد الإلوهية حصر له في أصله الأعظم، الذي يرجع إليه جميع الفروع، لأنَّ شرائع كلّ الأنبياء داخلة في ضمن لا إله إلا الله، لأنَّ معناها خلع كلّ الأنداد سوى الله في جميع أنواع العبادات، وإفراد الله بجميع أنواع العبادات، فيدخل في ذلك جميع الأوامر والنواهي القولية والفعلية والاعتقادية»[1].

٢- **القصر غير الحقيقي (الإضافي)**: وهو ما كان التخصيص فيه بحسب الإضافة إلى شيء آخر معين إلى جميع ما عداه[2]. ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [طه: ١-٣]، قال الشنقيطي: «وهذا القصر على التذكرة إضافي، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ [النحل: من الآية ٦٤] بدليل الحِكم الأخرى التي ذكرناها، ومن هذه الحِكم، أن يتدبر الناس آياته، وأنْ يتذكر أولوا الألباب في حكم إنزاله، وذكر حكمة الإنذار، وأنْ يبين ﷺ للناس ما أنزل إليهم ولأجل أن يتفكروا، ومن حكم إنزاله، تثبيت المؤمنين والهدى والبشرى للمسلمين، وأنّ من حكم إنزاله أن يحكم بين الناس بما أراه الله، وأنّ من حكم إنزالِه إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وأنَّ من

---

(١) دفع إيهام الاضطراب، ص٣١٠، وينظر: أضواء البيان، ص٤٠٤.

(٢) ينظر: الإيضاح، ص٧، والميسر في البلاغة العربية، ص٢٧٦.

حكم إنزاله التذكرة لمن يخشى، وإنّ من حكم إنزاله قرآناً عربياً وتصريف الله فيه من أنواع الوعيد: أنْ يتقي الناس الله، أو يحدث لهم هذا الكتاب ذكراً، أي موعظة وتذكراً، ويهديهم إلى الحق»[1].

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ [الأنعام: من الآية ٤٨]، قال الشنقيطي: «والقصر في قوله تعالى: «وما نرسل المرسلين إلاَّ مبشرين» هو الذي يسميه البلاغيون قصراً إضافياً، لأنَّه يرسلهم بأعمال أُخر طيبة من تعليم الآداب، والمكارم، وغير ذلك ممّا هو زائد على البشارة والإنذار»[2].

ج- القصر باعتبار حال المخاطب:

وهذا القسم خاص بالقصر الإضافي فقط، وبيان ذلك أنَّ القصر الإضافي ينقسم باعتبار حال المخاطب على ثلاثة أقسام: قصر إفراد، وقصر قلب، وقصر تعيين، والمخاطب في أسلوب القصر إمّا أنْ يكون شاكاً في الأمر أو يكون معتقداً عكس الرأي في الحكم أو يكون معتقداً الشركة بين اثنين أو أكثر في الحكم. فهو يكون لمقتضى الحال أو ما تدّعيه الحاجة[3].

١- قصر إفراد: وفيه يعتقد المخاطب الشركة في الحكم بين المقصور عليه وغيره، أي تخصيص أمر بصفة من أخرى[4]. ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾ [هود: من الآية ٢]، قال الشنقيطي: «هذه الآية الكريمة

---

(١) ينظر: أضواء البيان، ص١٥٥٥-١٥٥٦-١٥٥٧.

(٢) العذب النمير: ١/٢٤٥.

(٣) ينظر: مفتاح العلوم، ص١٣٣، والميسر في البلاغة العربية، ص٢٦٧.

(٤) ينظر: الإيضاح، ص٧، والميسر في البلاغة العربية، ص٢٦٧.

فيها الدلالة الواضحة على إن الحكمة العظمى التي أنزل القرآن من أجلها، هي أن يعبد الله -جل وعلا- ولا يشرك به في عبادته شيء... ونظير هذا المعنى قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨]، ومعلوم أنَّ لفظ «إنَّما» من صيغ الحصر، فكأن جميع ما أوحي إليه منحصر في معنى «لا إله إلا الله»[١].

وللقصر طرائق متعددة وأشهرها أربع وهي:

أولاً: النفي والاستثناء:

وهي أوسع طرائق القصر وأكثرها شهرة ودوراناً في كتاب الله، والنفي والإثبات أساساً أسلوب القصر ومن خلال هذا الأسلوب تظهر لنا لك المعاني والصور المتصلة بأسلوب القصر وقيمته البلاغية، وقد ذكر الشنقيطي «أنَّ أعظم صيغ الحصر: النفي والإثبات»[٢].

والقصر بالنفي والاستثناء، حروف كثيرة تسبق أداة الحصر (إلا) ولكن هذه الحروف تختلف فيما بينها من حيث خصوصيتها التي تميزها عن الأخرى، وعنها:

١- القصر بـ(ما- إلا): ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [الأعراف: من الآية ١٨٨]، قال الشنقيطي: «وهذا القصر قصر إضافي: «إلا نذير»، أي: منذر لمن عصى ربي وكفر...»[٣].

---

(١) أضواء البيان، ص٤٠٤.

(٢) العذب النمير: ٤/١٧٤٠.

(٣) المصدر نفسه: ٤/١٧٤٧.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ [الكهف: ٥٥]، قال الشنقيطي: «وأمّا الحصر في قوله هنا...، فهو حصر في المانع الحقيقي، لأنّ إرادته -جلَّ وعلا- عدم إيمانهم، وحكمه عليهم بذلك، وقضاءه به مانع حقيقي من وقوع غيره»[1].

٢- **القصر بـــ(لا- إلا)**: ومنه قوله تعالى: ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم: ٦٢]، قال الشنقيطي: «ذكر -جلَّ وعلا- في هذه الآية الكريمة أن المؤمنين إذا أدخلهم ربهم جنات عدن التي وعدهم «لا يسمعون فيها» أي: في الجنات المذكورة «لغواً» أي: كلاماً تافهاً ساقطاً كما يسمع في الدنيا... والظاهر أنَّ قوله: «إلا سلاماً» استثناء منقطع، أي: لكن يسمعون فيها سلاماً...»[2].

٣- **القصر بـــ(إن- إلا)**: ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٧١]، قال الشنقيطي: «وهذا بمنزلة القسم في تأكيد الأخبار، بل هذا أبلغ للحصر في الآية بالنفي والإثبات»[3].

٤- **القصر بـــ(إنَّما)**: إنّ القول بإفادة (إنَّما) لمعنى القصر يكاد يجمع عليه جمهور اللّغويين والنحاة والبلاغيين، ومعنى (إنما) «إثبات لما يذكر بعدها ونفي لما سواه...»[4].

---

(١) أضواء البيان، ص٧١٩.

(٢) المصدر نفسه ، ص٨٠٤.

(٣) أضواء البيان ، ص٨١٣.

(٤) لسان العرب: مادة (أنن).

وتحدث الشنقيطي عن هذه الأداة قائلاً: إن (إنَّما) من صيغ الحصر، فهي كالنفي والإثبات، وهو الصحيح -إن شاء الله- من كلام العرب، والدليل على إنّ (إنَّما) توضع مكان النفي والإثبات، فدل ذلك على إنّها صيغة حصر، لأنّ أعظم صيغ الحصر: النفي والإثبات، كقوله: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٣٩]، ووضع موضعه في محل آخر: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦]، وقوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [المائدة: من الآية ٧٣]، ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النساء: من الآية ١٧١]»[(١)].

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨]، قال الشنقيطي: «بيّن -جلّ وعلا- في هذه الآية أنّ العِجل الذي صنعه السامريُّ من حلي القبط لا يمكن أنْ يكون إلهاً، وذلك لأنّه حصر الإله، أي المعبود بحق بـ«إنَّما» التي هي أداة حصر على التحقيق في خالق السماوات والأرض، الذي لا إله إلا هو...»[(٢)].

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ١١]، قال الشنقيطي: «إنّه قصر الإنذار على المؤمنين دون غيرهم -في هذه الآية الكريمة-، لأنَّه لما كان الانتفاع بالإنذار مقصوراً عليهم، صار الإنذار كأنه مقصور عليهم»[(٣)].

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ [الأعراف: من الآية ١٨٧]، قال

---

(١) العذب النمير: ٤/١٧٤٠.

(٢) أضواء البيان، ص٨٨٠.

(٣) أضواء البيان، ص٣١٦-٣١٧.

الشنقيطي: «يُحصر علمها في خالق السماوات والأرض، لا يعلم وقت مجيئها لا رسول مرسل، ولا ملك مقرب، ولا يعلمه إلا الله»[1].

ثالثاً: القصر بالعطف:

ويكون بين أمرين أو أكثر يراد إثبات قسم منها ونفي القسم الآخر وأدواته ثلاثة: (لا، بل، لكن).

– لا: وهي النافية، كما في قولك: (أقدر زيداً لا خالداً) والمقصور عليه في عبارتها هو اللفظ المقابل لما بعدها وهو (زيداً) الذي يقابل (خالداً)، فتكون قد قصرت تقديرك على زيد[2].

و لم أجد شواهد عند الشنقيطي لهذه الأداة.

– بل: من الحروف العوامل ومعناها الاضطراب عن الأول والإيجاب للثاني كما نصَّ على ذلك الرماني (ت٣٨٤هـ)[3]، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، قال الشنقيطي: «وبيّن هنا بطلان ما ادعوه على ربهم من اتخاذ الأولاد وهم في زعمهم الملائكة بحرف الاضطراب الإبطالي الذي هو «بل» مبيناً أنهم عباده المكرمون»[4].

ومنه قوله تعالى: ﴿بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ [المؤمنون: ٨١]، قال الشنقيطي: «لفظة بل هنا للاضطراب الانتقالي، والمعنى أن الكفار الذين كذبوا نبينا ﷺ، قالوا مثل ما قالت الأمم قبلهم، من إنكار البعث»[5].

---

(١) العذب النمير: ٤/١٧٤٠.

(٢) البلاغة من منابعها، ص١٢٨.

(٣) ينظر: معاني الحروف، ص٩٤، وأسلوب القصر في القرآن الكريم، ص٩٨-٩٩.

(٤) أضواء البيان، ص٩٠٤.

(٥) أضواء البيان، ص١٢٧٧.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥]، قال الشنقيطي: «وقد رد الله على اليهود دعواهم ببل التي هي للاضطراب الإبطالي»[١].

– لكن: العاطفة فتكون مثقَّلة ومخفَّفة، وذهب الرماني مفرقاً بين المخفَّفة والمثقَّلة؛ إذ قال: «إنَّ المخفَّفة غير عاملة، والمثقَّلة عاملة، ومعناها في كلا الحالتين الاستدراك والتوكيد»[٢]. وتعطف ما بعدها على ما قبلها، وحكم المقصور عليه يكون بعدها ولا يعطف بـــ(لكن) إلا بشروط ثلاثة وهي: أنْ يكون المعطوف مفرداً لا جملة، والثاني: ألا تكون مسبوقة بالواو مباشرة، والثالث: أنْ تكون مسبوقة بنفي أو نهي[٣]. كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، قال الشنقيطي في معرض تفسيره للآية: «لأنَّ عمى العين مع إبصار القلب لا يضر، بخلاف العكس، فإن أعمى العين يتذكر فتنفعه الذكرى ببصيرة قلبه»[٤].

٥– القصر بتقديم ما حقه التأخير: وهو من مباحث اللّغة الجليلة، وهو لون بلاغي مهم تحدث به كبار العربية نحويون وبلاغيون بدءاً من سيبويه ثُمَّ تحدَّثَ السكاكي وأفصح عنه وللأغراض التي يخرج إليها كالعناية والاهتمام[٥]. ويأتي الجرجاني ليضع باباً خاصاً به وقال منه كثير الفوائد،

---

(١) المصدر السابق، ص١٥٨٤.

(٢) معاني الحروف، ص١٢٣.

(٣) ينظر: النحو الوافي: ٦١٧/٣.

(٤) أضواء البيان، ص٦٥١.

(٥) ينظر: مفتاح العلوم، ص١٣٣.

جَمّ المحاسن... بعيد الغاية، وهذا كلّه ناتج عن تحوّل اللفظ من مكان إلى مكان[1].

وحكم المقصور عليه في التقديم والتأخير فهو المقدّم ومن صوره في تفسير الشنقيطي:

❑ تقديم المفعول به:

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل: من الآية ٥١]، قال الشنقيطي: «وقدَّم المفعول في قوله: «وإياي فارهبون» للدلالة على الحصر. وقد تقرر في الأصول في مبحث «مفهوم المخالفة»، وفي المعاني في مبحث القصر، «أنَّ تقديم المعمول من صيغ الحصر»، أي: خافون وحدي ولا تخافوا سواي»[2].

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: من الآية ٤١]، قال الشنقيطي: «وقدم المفعول للحصر، أي: لا تدعون وقت الشّدائد إلاّ إيَّاه وحده، لأنّكم تعلمون أنّه هو الذي بيده إزالتها، وأنّ غيره لا يقدر على رفع الكربات عنكم»[3].

ونقل أبو حيان كلام الزمخشري قائلاً: «إنَّ تقديمه دليل على الحصر والاختصاص، ولذلك قال: بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة»[4]، وهذا ما ذهب إليه البيضاوي والآلوسي[5].

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز، ص١٤٣.

(٢) أضواء البيان، ص٥١٥.

(٣) العذب النمير: ٢٠٩/١.

(٤) البحر المحيط: ١٣٢/٤، وينظر: الكشاف: ٢٣/٢.

(٥) ينظر: أنوار التنزيل: ٤٠٨/٢ ، روح المعاني: ١٤٩/٧.

ويقدم المفعول أيضاً لأجل الاختصاص، ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [الأعراف: من الآية ١٦٠]، قال الشنقيطي: «قدم المفعول لأجل الاختصاص، أي: لا يظلمون بذلك إلا أنفسهم»[(١)].

وهذا ما قال به الشوكاني قائلاً: «وتقديم الأنفس هنا يفيد الاختصاص»[(٢)].

ومن صور التقديم أيضاً، تقديم الجار والمجرور، من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: من الآية ٤٦]، قال الشنقيطي: «أي: يوقنون أنّهم إليه راجعون -جل وعلا- يوم القيامة فمجازيهم على أعمالهم، **وقدم المعمول الذي هو الجار والمجرور**، في قوله: «إليه راجعون» لأمرين، أحدهما: المحافظة على رؤوس الآي، والثّاني: الحصر. وقد تقرر في فن الأصول، وكذلك تقرر في فن المعاني في مبحث القصر، أنَّ تقديم المعمول من أدوات الحصر»[(٣)].

ومن ذلك أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، قال الشنقيطي: «وقدَّم الجار والمجرور على عامله الذي هو المصدر الميمي إيذاناً بالحصر: «ثُمَّ إلى ربِّهم مرجعهم»... والمعنى: رجوعهم يوم القيامة إلى الله وحده، فليس هنالك معه ملك آخر يرجع إليه بعضهم، بل يرجعون إليه وحده -جل وعلا-»[(٤)].

---

(١) العذب النمير: ٤/١٦٤٦.

(٢) فتح القدير: ٢/١٢٠.

(٣) العذب النمير: ١/٦٢، ومجالس الشنقيطي، ص١٤٧.

(٤) العذب النمير: ٢/٥٤٢.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: من الآية ٣٦]، قال الشنقيطي: «وتقديم المعمول الذي هو الجار والمجرور يؤذن بالحصر، أي: لا يحشرون إلى شيء غير النار والعياذ بالله -جل وعلا-»[1].

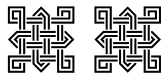

(١) المصدر نفسه: ٤/١٩١٧.

المبحث السابع

الإطناب

الإطناب لغةً: جاء في اللّسان: «الإطناب: البلاغة في المنطق والوصف، مدحاً كان أو ذماً، وأطنب في الكلام: بالغ فيه... وأطنب في الوصف: إذا بالغ واجتهد»[1].

واصطلاحاً: عرَّفه الجرجاني بقوله: «أداء المقصود بأكثر من العبارة المُتعارفة، وأن يخبر المطلوبَ بمعنى المعشوق بكلام طويل، لأنَّ كثرة الكلام عند المَطلوب مقصودة، فإنَّ كثرة الكلام توجب كثرة النظر، وقيل: الإطناب: أن يكون اللفظ زائداً على أصل المُراد»[2].

❑ أنواع الإطناب عند الشنقيطي:

حدّد علماء البلاغة في مصنفاتهم أنواعاً متعددة للإطناب[3]، وسأقف -إن شاء الله- على ما وقف عليه الشنقيطي في تفسيره، وكما يأتي:

١- الإيضاح بعد الإبهام:

ذكر القزويني أنَّ هذا النوع من الإطناب يؤتى به: «ليُرى المعنى في صورتين مختلفتين، أو ليتمكن في النفس فضلَ تمكُّنٍ، فإنَّ المعنى إذا أُلقي مُبْهماً، تاقتْ نفس السامع إلى معرفته مُبَيَّناً، أو لتكمُلَ لذَّةُ العلم به، نحو قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ [طه: من الآية ٢٥]، فإن (إشرح لي) يُفيد

---

(١) لسان العرب: مادة (طنب).

(٢) التعريفات، ص٢٥.

(٣) ينظر على سبيل التمثيل: التلخيص، ص١٢٥ وما بعدها.

طلبَ شرحٍ لشيءٍ ما له، و(صدري) يُفيدُ تفسير هذا الشيء»[1]. ومن أمثلته عند الشنقيطي، ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكِ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٩]، قال الشنقيطي: «إنَّ «كذلك» في محل نصب بـــ«قال» وعليه فالإشارة بقوله: «ذلك» إلى مبهم يفسره قوله: «هو على هين»، ونظيره على هذا القول قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦]»[2].

٢- ذكر الخاص بعد العام:

قال القزويني في هذا النّوع من الإطناب قائلاً: «وأمّا بذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله، حتى كأنّه ليس من جنسِهِ، تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلةَ التغاير في الذات»[3].

ومن أمثلته في تفسير الشنقيطي ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [الكهف: ٢-٤]، قال الشنقيطي: «وقوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [الكهف: ٤]، أي: ينذرهم بأساً شديداً «من لدنه» أي: من عنده، وهذا من عطف الخاص على العام، لأنَّ قوله: «لينذر بأساً شديداً من لدنه» شامل للذين قالوا اتخذ الله ولداً، ولغيرهم من سائر الكفار.

---

(١) التلخيص، ص١٢٥.

(٢) أضواء البيان، ص٧٥٣.

(٣) التلخيص، ص١٢٥.

وقد تقرّر في فن المعاني أنَّ عطف الخاص على العام إذا كان الخاص يمتاز عن سائر أفراد العام بصفات حسنة أو قبيحة من الإطناب المقبول، تنزيلاً للتغاير في الصفات منزلة التغاير في الذوات.

ومثاله في الممتاز عن سائر أفراد العام بصفات حسنة قوله تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ﴾ [البقرة: من الآية ٩٨]، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧].

ومثاله في الممتاز بصفات قبيحة الآية التي نحن بصددها، فإنَّ الذين قالوا اتخذ الله ولداً امتازوا عن غيرهم بفرية شنعاء، ولذا ساغ عطفهم على اللفظ الشامل لهم ولغيرهم»[1].

و لم أجد أحد من المفسرين من قال بهذا المعنى.

ومن قوله تعالى: ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٩-٢٠]، قال الشنقيطي: «قوله: وشجرة: معطوف على جنات من عطف الخاص على العام، أي: وأنشأنا لكم به جنات، وأنشأنا لكم به شجرة تخرج من طور سيناء وهي شجرة الزّيتون، كما أشار له تعالى بقوله: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ [النور: من الآية ٣٥]»[2].

وأغلب المفسرين يذكرون أنَّ في الآية الكريمة (عطف) فقط بدون تحديد نوع هذا العطف، قال البيضاوي: «(وشجرة) عطف على (جنات)»[3].

---

(١) أضواء البيان، ص٦٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ص١٢٦٨.

(٣) أنوار التنزيل: ١٥٠/٤، وينظر: مدارك التنزيل: ٣٧٧/٢، وإرشاد العقل السليم: ١٢٨/٦.

وقد ذكر الشنقيطي هذا النوع من تفسيره في مواضع متعددة[1].

٣- ذكر العام بعد الخاص:

قال السيوطي فيه: «وأنكر بعضهم وجوده فأخطأوا والفائدة فيه واضحة وهو التعميم وإفراد الأوّل بالذكر اهتماماً بشأنه»[2].

ومنه ما جاء عند الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]، قال الشنقيطي: «وقوله تعالى في هذه الآية: «وأطيعوا الرسول» بعد قوله: «وأقيموا الصلاة» من عطف العام على الخاص، لأنَّ إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، داخلان في عموم قوله: «وأطيعوا الرسول»، وقد قدمنا مراراً أنَّ عطف العام على الخاص وعكسه كلاهما من الإطناب المقبول إذا كان في الخاص مزية ليست في غيره من أفراد العام»[3].

و لم أجد من المفسرين من ذكر هذا المعنى.

٤- التّكرار:

منه قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: من الآية ٦٧]، قال الشنقيطي: «وكرر لفظ «من» للتأكيد»[4].

وهذا ما ذهب إليه الآلوسي بقوله: «و«منه» من تكرير الظرف

---

(١) ينظر: أضواء البيان، ص٤٨٤، و٩١٩، و١٥٠٠، و٢١٥٧، و٢١٨٨.

(٢) الإتقان: ١٨١/٣.

(٣) أضواء البيان، ص١٣٨٢.

(٤) المصدر نفسه، ص٥٢٧.

للتأكيد»[1]، وهذا ما ذكره أكثر المفسرين[2].

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣]، قال الشنقيطي: «إنَّ تكرير «فبأي آلاء ربكما تكذبان للتوكيد، ولم يكرره متوالياً؛ لأنَّ تكريره بعد كلِّ آية أحسن من تكريره متوالياً، وإذا كان للتوكيد فلا إشكال؛ لأنَّ المذكور منه بعد ما ليس من الآلاء مؤكد للمذكور بعد ما هو من الآلاء»[3].

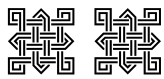

(١) روح المعاني: ١٤/١٧٩.

(٢) ينظر: فتح القدير: ٣/١٧٩، وأنوار التنزيل: ٣/٤٠٨، والكشاف: ٢/٥٧٥، ومدارك التنزيل: ٢/١٦٧.

(٣) دفع إيهام الاضطراب، ص٣٥١.